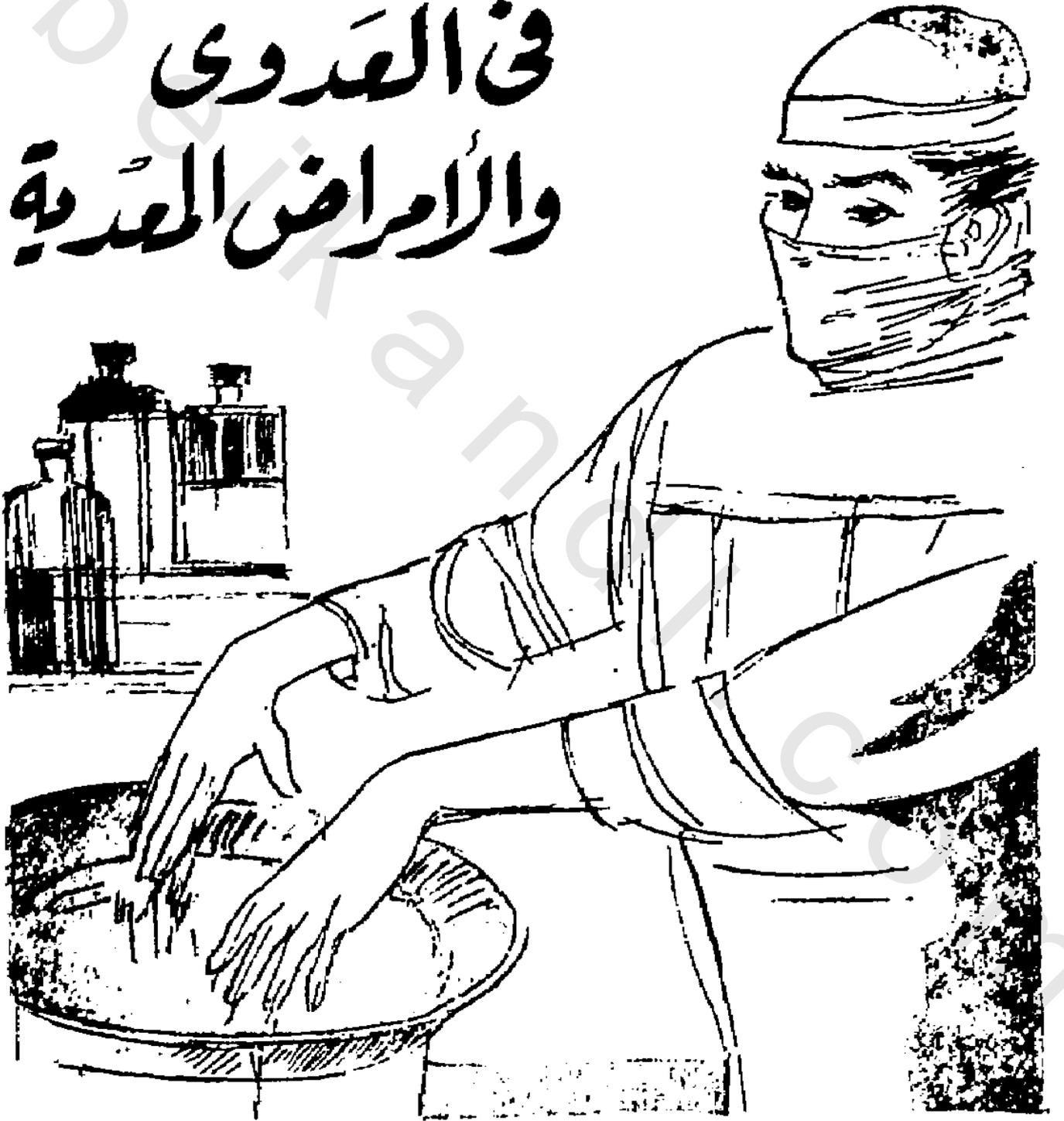


البَابُ الثَّالِثُ

فِي الْعَدْوِي وَالْأَمْرَاضِ الْمَعْدِيَةِ



خدعوك فقالوا :

إن التطعيم واق من الجدرى فى كل الأحوال

نستطيع اليوم أن نسمع عن وجود إصابات بالجدرى . فلا يرتعش لنا عصب أو نحس بالذعر الذى كان يحسه أجدادنا الأوائل عندما يدهمهم مثل هذا النذير .

إن هذا الوباء الذى تقاسم هو والطاعون فى القرن الثامن عشر لقب « الموت الأسود » والذى هزأ ميكروبه بالعالم عدة قرون منذ فجر التاريخ قد حطم مجالبه القاتلة طبيب قروى صغير عاش فى أوائل القرن التاسع عشر فى قرية صغيرة من قرى إنجلترا ، قدان العالم بذلك اللقاح الباهر الذى أصاب الجدرى فى مقتل ، والذى اكتشفه قبل أن تعرف جرثومة المرض ، وقبل أن يدرك البشر قليلاً أو كثيراً من جرائم الأراض . . .

قدم التاريخ

إن الجدرى مرض قديم قدم التاريخ ، وقد وجدت آثاره البشعة على وجوه موميات النمراعة ، ولكنه لم يفض على العالم كطوفان إلا فى القرن السابع عشر ، حيث كانت موجاته المتلاحقة تعصف بالمدن والمدنيات ، وحيث كان كل إنسان مقدراً عليه أن يصاب به قبل أن يبلغ أشده ، وحيث كان الآباء والأمهات يعرضون أبناءهم لعدواه القاتلة حتى يفرغوا من أمرهم ، ويرفعوا عن رقابهم هذا السيف المصلت ، إما

إلى موت ، وإما إلى حياة ، وحيث كانت الأم في الصين لا تعد من أولادها ولبداً لم تقرعه القارعة بعد ، فتفصل في أمره : أها الولد أم لثواه الأخير في التراب . .

وبلغ ضحايا الجحدرى في أوروبا في القرن الثامن عشر ستين مليوناً . .
وخلال الحرب الأوربية التي تلت الثورة الفرنسية . مات بالجحدرى وحده في أوروبا ستة ملايين !

وعندما أدخل الإسبان الجحدرى إلى أمريكا بعد اكتشافها بخمسة عشر عاماً مات في المكسيك من الجحدرى ثلاثة ملايين ونصف في فترة وجيزة من الزمان . .

وقدر عدد ضحايا الجحدرى بين الهنود الحمر يومئذ - وكان عددهم اثني عشر مليوناً - بستة ملايين !

وكان عدد سكان ايسلندا في سنة ١٩٠٧ خمسين ألفاً مات منهم بالجحدرى ١٨ ألفاً عندما داهمهم الوباء في ذلك العام .

ولقد كانت مصر على الدوام مسرحاً لأوجات متتالية من هذا الوباء ، تعصف بسكانها كل بضع سنوات ، والذين أدركوا منا بداية هذا القرن ، كثيراً ما طالعتهم أفاعيل الجحدرى في أولئك الذين نجوا منه ، وجوهاً منقورة وعيوناً عمياء . .

حتى الملوكة !

ومنذ عرف الجحدرى لم يعرف عنه . . أنه احترم أحداً بلخس أو لمركز أو لسن ، فحيثما كانت تقع جرثومته على أرض صالحة ، كانت

تثبت وتينع وتبتطش ببلاط الملك كما تبطش بكوخ الفلاح . .
مرض به شارل التاسع ملك فرنسا ، فانخسف جزء من أنفه ، حتى
أصبح له أنفان !

وأصيب به لويس الزابع عشر
ومات منه لويس الخامس عشر بعد أن نجما منه مرة في صباح
وقضت نجها تحت سنابكة ماري الثانية ملكة إنجلترا في عنفوان
الشباب . . .

إن عدواه عدوى طيارة كعدوى الحصبة والأنفلونزا ، يعتبر فيها
مريض الجدرى كوكب النحاس ، يرسل أشعته القاتلة على مخالطيه
ومخالطي مخالطيه في كل اتجاه . . . لا عاصم منها إلا اللقاح . .

شاعر يدين العالم !

كان « إدورد جنر » الذي اكتشف لقاح الجدرى في سنة ١٧٩٦
شاعراً من شعراء الطبيعة ، وموسيقاراً يعزف على الناي والقيثار ، وهاوياً
من هواة الطيور ، وعندما أعلن اكتشافه على الجمعية الملكية الطبية
بإنجلترا ، قوبل اكتشافه بالرفض والاحتقار !

ولكن ماهى إلا سنوات حتى كافأه البرلمان الإنجليزي على هذا
الاكتشاف الخطير بعشرة آلاف جنيه ، زادها بعد أربع سنوات إلى
ثلاثين ، وعينه طبيباً فوق العادة للبلاط الملكي . . . وكتب له رئيس
الولايات المتحدة يومئذ يقول : « إن أمم المستقبل ستعرف من التاريخ

أن مرضاً رهيباً اسمه الجدري كان يبطش بالعالم يوماً ما ثم انقرض على يدك ! »

ولكن هذه النبوءة لم تتحقق كلها لسوء الحظ ، لأن اكتشاف « جر » لم يول من الرعاية ما يستحقه على الدوام . . .

لقد اصطدم بالخرافة ، كما اصطدم بالعقيدة ، ولكنه انتصر في النهاية ، وأصبح اليوم سلاحاً ضد الجدري معترفاً به في كل مكان . . . ولقد كانت مصر من أوائل الأمم التي اعتنقت سنة التطعيم ضد الجدري على يد « كلوت بك » فجعلته إجبارياً على كل طفل قبل أن يبلغ الشهر الثالث من عمره ، كما أنها حتمت على البالغين إعادة التطعيم كل أربع سنوات ، وكلما رفع الجدري رأسه ، وعرض أحداً من سكانها لعدواه .

خرافات ..

ولقد كانت هذه السياسة خليقة أن تجتث جرثومة الجدري أولاً اصطدامها هي الأخرى بسلسلة من الخرافات

وأولى هذه الخرافات أن التطعيم إذا لم يحدث في ذراع المطعم آثاره المعروفة كان هذا دليلاً على مناعته الطبيعية على الداء . . .

وليس أوغل من هذه الخرافة في الضلال !

فالجدري لا توجد مناعة طبيعية عليه . . . وإنما يفشل التطعيم إذا فشل

لأن الطعم المستعمل إذا فارق الثلاجة أصبح سريع البوار ، يفسد إذا تعرض للدفء زمناً في جيب الطبيب ، ويفسد إذا استعمل في خدش الجلد مبضع ساخن ، ويضيع فعله إذا سال من خدش الجلد في موضع التطعيم دم كثير ، أو أسبغ الكم على موضع التطعيم قبل أن يتشرب الجراثيم . . . وكثيراً ما يرى الطبيب أطفالاً طعدوا أربع مرات أو خمس مرات دون نتيجة ثم يطعمون السادسة فينجح التطعيم ويؤتى أكله المعروف .

مناعة « الكونكريت »

والحرافة الثانية أن المناعة الحادثة من هذا التطعيم مناعة كمناعة « الكونكريت » على الرصاص . . . وهذا وهم ، فإن المناعة الحادثة وإن كانت قوية فعلاً ، وقد تدوم عدة سنوات ، فإنها لا تدفع المرض في كل الأحوال . . .

ومن أجل ذلك تستوجب وزارات الصحة إعادة التطعيم ، كلما وجد المرض وحدث التعرض لعدواه ، بغض النظر عما إذا كان الشخص قد طعم من قبل في زمن قريب أو بعيد . . .

نعم إن مثل هذا الشخص المطعم قبل عام أو عامين ، أو أدركه النحس فأصيب بالمرض ، كانت إصابته بسيطة . وكان مرضه رقيقاً ، وكادت مضاعفاته تنعدم ، ولكنه مع ذلك يكون مصدراً لعدوى مخالطيه عدوى قاتلة إذا لم يعصمهم اللقاح .

مسألة وقت !

والخرافة الثالثة أن التطعيم الناجح يدفع المرض عن مخالطي المريض إذا عمل في أى وقت كان . . .

وهذا ضلال ، فإن المناعة الحادثة من الطعم لا تنشأ إلا بعد تسعة أيام من عملية التطعيم الناجحة ، ولذلك يعتمد رجال الصحة في هذا المرض على مزية التبكير بعملية التطعيم ، على أوسع نطاق ممكن ، حتى يقطعوا الطريق على الوباء . . .

ولقد حدثت يوماً ما إصابة بالجدري في نيويورك ، فحشدت السلطات الصحية هناك كل أطباء المنبرلنة ، بحيث تم تطعيم ثمانية ملايين شخص في بضعة أيام ، فانحسم الوباء . . .

الاستحمام والتطعيم

وهذه خرافة أخرى نبتت مع غيرها من خرافات التطعيم ، وظن كثير من الناس أن الشخص المطعم يجب ألا يقترب من الماء ، حتى يصل الطعم إلى آخر مداه . . .

والواقع أن جرثومة الطعم مادامت قد انغرست في خدش الجلد فإن الماء لا يزيل أثرها الدفين .

ويكفي أن يمتنع المطعم عن الاستحمام يوماً ، ثم يستحم فيما يليه كما يشاء وليس الحمل من موانع التطعيم كما يعتقد كثير من الناس ، وإنما

تمنع منه وتدعو إلى تأجيله الأمراض الجلدية والإكزيما ، والضعف الشديد ، والحميات .

سلاح لا يخيب

إن في يدنا الآن سلاحاً لا يخيب ضد الجدري ، ولكن ما قيمة سلاح لا نستعمله ، وما جدوى السيوف في الإنعام؟
 إن الجدري مرض لا يلعب معه . ويكفي أن أردد ما قاله عنه المؤرخ الأديب « ما كولي » لأختتم به هذا النذير :
 « إن هذا المرض الذي انتصر عليه العلم انتصاراً مجيداً كان يوماً ما أفظع سفير من سفراء الموت في العالم . . لكم ملاً أفنية الكائنات بالحثث وكم عذب بالخوف الدائم الباب أولئك الذين لم يصابوا به ، وكم ترك آثاره الرهيبية على أولئك الذين نجوا منه ، وكم حول الرضيع إلى مسخ ترتعش أمه من مرآه ، وكم جعل من وجنات العذراء الفاتنة وعيونها الساحرة مصدراً للرعب والفرع في عين خطيبها الوهان ! »



تخدعوك فقالوا :

إن البرد أصل الزكام !!

الزكام عدوى ، وليس البرد إلا عاملاً تافهاً فيه ، شأنه شأن عدة عوامل أخرى تضعف مناعة الجسم على جرثومة الزكام .
وفي آخر رحلة لمستكشفي القطب الشمالي ، حيث تكون حرارة الجو دون الصفر بمدى بعيد ، لم يصب أحد من هؤلاء المستكشفين بالزكام حتى فتحوا صندوقاً للملابس ، واستنشقوا ما علق بها من جراثيم الزكام .

وقلما تصاب بالزكام وأنت تركب البحر أو تضرب في الصحراء مها اشتد البرد وقسا الزمهرير :
ومن المؤكد أن الإنسان الأول عندما كان يعيش في العراء ، وفي أحضان الطبيعة ، قليل الحاجات والمطامع ، لم يكن يعرف الزكام ، وأنه لم يعرفه إلا منذ عرف الغرف الدافئة المكتظة ، وعرف « السينات » والمقاهي والمراقص ، وعرف زحام المطامع الموبقة في سباق البشر القاتل على أسلاب الحياة .

إن المزموم إذا عطس خرج من فمه وأنفه قرابة مائة ألف قذيفة ، كل منها موسوق بألوف الجراثيم ، وكل منها يبلغ من الصغر حداً لا تراه العين ، وكل منها يسبح في الهواء عدة أمتار ، وقد يبقى

عالمًا به بضع دقائق ، ومن ثم كان خطر الازدحام في « السينمات » والمدارس والمكاتب ، وحيث تقوم الجدران والسقوف بوجه عام ، وحيث يركد الهواء وتشع أشعة الشمس المطهرة ، وتسبح هذه القذائف في الجو على زوارق من ذرات التراب .

إن جسمك في مثل هذه الغرف يصبح كالفرن من احتباس الحرارة فيه ، وتكون أغشية فمك وحلقك محتقنة بالدم احتقان الجلد سواء بسواء ، فإذا تعرضت بعد ذلك للهواء البارد استحال هذا الاحتقان إلى جفاف ، وفي هذا الانتقال المفاجئ : ينفجر في جسدك ما أصابه من قذائف المذكوم .

وأشد مواطن الضعف في جسمك هي الأقدام الدافئة عندما تتعرض للهواء البارد ، وعندما أدخل تكييف الهواء على مجلس العموم البريطاني ، كان مدخل الهواء يحاكي الأقدام . وعلى الرغم من أن الهواء المجلوب كان دافئاً ، فإن دفأه لم يستطع أن يناهض سخونة الرؤوس المنبعثة من حرارة المناقشات ، فتخلف في اليوم التالي أكثر من ثلث أعضاء المجلس مصابين بالزكام !!

وأكثر ما يصاب الأطفال بالزكام عندما يخرجون من مهدهم الدافئة في الصباح حفاة الأقدام .

وليس الخطر من قذائف الزكام وحدها ، فقد تستنشق عدداً منها ولا تصاب ، لأن التربة ليست مهيأة للزرع ، أو بعبارة أخرى لأنك في مناعة مؤقتة على جرثومة الزكام .

وإنما يهيض من هذه المناعة ويقص من حواشيها ، السهر
المزمن ، والجوع ، والإجهاد على أى صورة ، والفوضى فى الحياة ،
والاحتماء من « البرد » بنار المدافئ والغرف المكتظة المحبوسة الهواء .
إن الهواء الطلق البارد نعمة من نعم الله ، ولكننا نحقره لأنه رخيص ،
ولو كان الهواء الطلق البارد يباع لاشريناه بأعلى الأثمان .
وأكثر عباد الله خشية للهواء الطلق البارد المنعش وأضعفهم مقاومة
للزكام هم المصدورون ، وقلما تجد منهم من لا يسجن نفسه فى ليالى
الشتاء - اتقاء البرد - فى سجن لا يعرف طريقه الهواء ، فإذا ذهبوا
إلى المصحات ، أجبروا إجباراً على فتح النوافذ ليلا ونهاراً فى الصيف
والشتاء ، وقد يصابون بالزكام مرة أو مرتين ، ولكنهم يكتسبون بعد
ذلك مناعة على الزكام لا يؤثر فيها برد طوبة ولا زمهرير أمشير !!
ولو كان ضرر الزكام مقصوراً على أن تعطس وتسعل لكان . إن
العلماء يضعونه اليوم فى قائمة واحدة مع الزهري والسرطان .
يسمونه من أجل ذلك « طاعون البشرية الثالث » ، وذلك لأن
الزكام - فوق أنه أكبر باعث على العطلة فى العالم ، يمهد الطريق
لمائة مرض ومرض ، منها الزوائد اللحمية فى حلوق الأطفال ، وما قد يتبعها
من هزال وضعف فى نمو العقل والبدن ، والتهابات فى الزور والآذان ،
ومنها التهاب الكهوف العظمية فى الرأس ، وما يتلوه من علل فى المفاصل
والأعصاب ، ومنها التهابات شعب القصبات الهوائية والرئة ولاسيما
فى الشيوخ حيث يستطيع زكام بسيط أن يختم قصة الحياة فى بضعة أيام .

وكل هذا يمكن أن نتوقاه بالعودة إلى كنف الطبيعة ، وبهجرتان المدافئ ما استطعنا ، وبالعيش في الهواء الطلق في الليل والنهار والصيف والشتاء ، وبالفرار من الأماكن المكتظة المغلقة كما نقر من المجذوم ، وبتقليل التراب في بيوتنا برش غرفها قبل الكنس بالرمل المندي بالماء ، فإن التراب الذي يتناثر في الهواء يحمل معه ما كان استقر بالأرض من قذائف المرض ، وباعتزال الناس عندما نصاب بالزكام .
 الهواء الطلق البارد منعش ومقوّ ، بل هو ترياق ، ولا يمكن أن يكون سمّاً إلا للذي يخشاه
 والطبيعة أم حنون لا يمكن أن تقسو على غير ابنها العاق ، الذي يكفر بالآلئها ويقفل نوافذه دونها في غير ضرورة قصوى - حتى لا يراها ولا تراه !!



خدعوك فقالوا :

إن الكحول أمان من البرد

ما أكثر الأوهام والأضاليل التي تحيط بالكحول في تقدير شاربيه . . . زعموه نبراسا للعقل المغلق ، ووحياً للشاعر ، وإلهاماً للفنان ، وفصاحة للأبكم ، وشجاعة للجبان ، وقوة للضعيف ، وبهجة للحزين .

والواقع من كل هذا أن المرء وهو ثمل ، أضعف منه وهو مفيق ، وأضل منه تفكيراً وأكثر منه عرضة للخطأ ، وكل ما يحس به إنما هو زيف يصوره له التحرر من هيمنة القوى العليا في ذهنه ، وهي ضبط النفس ، والشعور بالمسئولية ، والخضوع لأمالى العرف والتقاليد والشرائع ، وهذه القوى يشلتها الكحول أول ما يفعل بعقول شاربيه ، فإذا ما انشلت هذه الأعنة الحاكمة ، ارتدت الشارب إلى طبائعه الدنيا ، تجمع به حيث شاءت وشاء ، وصدق فيه ما قال الشاعر العربي :

والحمر كالريح . . إن مرت على عبق

تذكو ، وتخبث إن مرت على الخيف ا

وأشدت من هذه الأوهام كلها زيف ما يحس به المخمور من دفع يستعين به على ملاقاتة البرد والزمهرير . . إنه دفع كاذب ، كذب الفصاحة التي يزعمها لنفسه ، والقوة التي يتخيلها سارية في عضلاته ، والخيال الثاقب الذي يمدفق في ذهنه . . .

ومرد هذا الدفء الكاذب إلى ما يحدثه الكحول من تمدد في أوعية الجلد الدموية ، وما يؤدي إليه هذا التمدد من امتلاء بالدم ، والدم بطبيعته حار . يمنح المخمور شعوراً بالدفء اللذيذ ، ولو قيست حرارته في الوقت الذي يحس به هذا الدفء لوجدت الحرارة هابطة نصف درجة ، أو درجة كاملة عن مستواها الأصلي وذلك أن تمدد الأوعية الدموية في الجلد واحتقانها بالدم ، يجعلان الجسم يفقد حرارته بسرعة ، وما لم يعوض عن هذه الحرارة المفقودة بالمجهود العضلي ، كالمشي والحركة ، أو بتثقيل الغطاء ، فإن المخمور كثيراً ما يتعرض لأذى البرد ، وكثيراً ما يصبح أقل مناعة على عدوى الزكام والالتهابات الرئوية .

نعم إن المزكوم في مبدأ الزكام قد يستفيد من جرعة من الكحول وهو راقد في فراشه مثقل بالغطاء ولكن الفرق كبير بين هذا ، وبين أن يخرج المخمور من حانة مغلقة النوافذ، مكتظة بالشاربين ثم يعرض نفسه للبرد ، استناداً إلى ما يحسه من هذا الدفء الدخيل .

صدق رسول الله عندما قال : « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » أو كما قال .

خدعوك فقالوا :

القبلة سفير المحبة

إن الشفاه التي لها مذاق الرحيق ونعومة الحرير ، ونشوة الكأس ، وحمرة العندم ، يجوز أن يكمن فيها سم العقرب في بعض الأحيان !! فالفم والأنف والحلق والشعب الهوائية مباءة لعشرات من الجراثيم المرضية ، قد لا تؤذى صاحبها لمناعة فيه ، ولكنها تؤذى الغير إذا لم تكن له المناعة نفسها وهذه الجراثيم تخرج من الفم مع السعال والعطاس والتثاؤب والصرح ، وكثيراً ما تموت إذا طال تعرضها للشمس والهواء ، لأن معظمها أشبه ما يكون بالسّمك إذا خرج من البحر أودى به الجفاف ، ولكن إذا ما دخلت فم شخص آخر - ليست لديه حصانة الأول - نمت وترعرعت فيه ، ورعت من صحته وعافيته ما يقدر لها أن ترعاه .

إن العدوى أشبه ما تكون بقنطرة يجب أن تجتازها الجراثيم المرضية بين مصدرها في المريض أو حامل الجراثيم ، وبين هدفها في الشخص السليم . . . وكلما قصرت القنطرة ، وقلت فيها العوائق أصابت الجراثيم هدفها بسهولة ، وكلما طالت القنطرة وتعددت فيها العراقيل ، أخطأت الجراثيم غرضها ، وقتلتها مشاق الطريق . وعندما تتلاقى الشفاه بالشفاه في قبلة لا تقصر القنطرة فحسب ، ولكنها

تتلاشى ، ولا تقل عوائق الجراثيم فحسب ، ولكنها تزول . وشر ما تكون القبلة وأخبث عندما توضع على شفتي طفل برىء ، وبالأخص إذا كان الطفل رضيعاً ، لا حيلة له في نفسه ، ولا قدرة لديه بعد على دفع الأذى أو مقاومة الجراثيم .

إن هذه القبلة كثيراً ما أعدت بالسل أطفالاً ، وطالما دهتهم بالأنفلونزا والحصبه والسعال الديكي والالتهاب السحائي والنزلات الرئوية وعشرات غيرها من الأمراض ، وهم من غصارة العود ، وضعف المناعة ، ورقة الحاشية ، بحيث لا يستطيعون الصمود .

إن القبلة قد تكون سفيراً للمحبة ، ولكن هذا السفير كثيراً ما يخطئ - دون قصد - فيحشو حقيبتة السياسية ببعض آلات المرض والموت والدمار !!



خدعوك فقالوا :

إن الحصبة لا تصيب إلا الأطفال

كثرت إصابات الحصبة بين الأطفال في هذه السنين، وبدأت موجتها الوبائية تجتاح بلادنا مرة في كل عامين . وبرغم أن معظم المصابين من الأطفال ، فليس معنى ذلك أن الحصبة تحب كل الناس ، ونفسها حلوة لجميع الأعمار ، ولكنها حيث تتوطن وتوجد على الدوام ، يكون الكبار متمتعين بمناعة قوية منذ إصابتهم بالمرض وهم أطفال والذين لا يتمتعون منهم بهذه المناعة ، يقعون مثل أى طفل تحت ضربات الوباء .

نحن والحصبة

إن انتشار الحصبة يختلف باختلاف المجتمعات . ففي مثل مجتمعنا المزدحم بالسكان توجد الحصبة في كل الأوقات ، وعلى مدار العام ، أى أنها مرض متوطن في بلادنا ، وإن اختلف توزيع إصاباته على أشهر العام وعلى مدار السنين - ففي السنين الوبائية تكثر في الشتاء والربيع ، وتضع بصمتها على كل بيت به شخص أو أشخاص لا يتمتعون بمناعة عليها من مرض سابق ، أو تحصين قديم . ولما كان معظم العزل من هذه المناعة في بلادنا

من الأطفال فإنها تنتشر بينهم ، وتنتقل مثل انتقال النار في المشيم من طفل إلى طفل ومن مكان إلى مكان لأنها من أسرع الأمراض المعدية انتقالاً بين المرضى والأصحاء ، ويكفي أن يفتح الطفل القابل للعدوى باب غرفة أخيه المريض ، ويقول له صباح الخير حتى تكون فيروسات المرض المبعثرة في الهواء قد دخلت أنفه أو فمه أو عينه دون استئذان ، ويظل الرباء على منواله هذا في اصطفاء فرائسه من بين الأطفال حتى تستنفد موجدته كل أغراضها ، ولا يبتى من بين الأطفال القابلين للعدوى إلا قلة بسيطة ، لا يصيبها المرض لأنها لم تتعرض - عن طريق المصادفة المحض - لحيوش الوباء السابحة بغير انتظام في الهواء - وتنحصر الموجة الوبائية في بضعة أشهر ، تاركة مكانها لحالات مبعثرة هنا وهناك تظهر بين الحين والحين بين أولئك الأطفال الذين لم يتعرضوا لموجة الوباء . ويظل الأمر على هذا المنوال بقية العام والعام الذي يليه ، لأن المواليد الجدد من الأطفال تكون لديهم ذخيرة من الأجسام المضادة لجراثيم المرض يرثونها من الأمهات ، فتحميهم عدة أشهر من غوائل الوباء . وكذلك لا تحدث موجة وبائية في العام التالي للموجة السابقة ، وإنما تظل الحصبة على حالاتها المبعثرة هنا وهناك كأنها نار تحت التراب ، فإذا جاء العام التالي يكون قد تجمع من الأطفال غير المحصنين عدد كبير من بين مواليد السنتين اللتين فقدوا فيهما مناعتهم الموروثة من الأمهات ، أي أن كومة طيبة تكون قد تكونت من الحطب

الجفاف ، فلا تكاد جراثيم المرض تصل إليها حتى تنتشر فيها من جديد انتشار النار في الهشيم فتحدث الموجة التالية للوباء .

خيار وفاقوس

هذه هي استجابة مجتمعنا المزدحم لعدوى الحصبة ، هو وأمثاله من المجتمعات . بيد أن كل المجتمعات ليست من هذا القبيل ، فثمة مجتمعات صغيرة ومنعزلة لم تعرفها الحصبة قط ، ولم تطأ أرضها .
 قدما مريض ، هو مصدر العدوى الوحيد ، أو لعلها عرفت في الماضي ، ثم انجلى عنها فترة طويلة من الزمن ، وفي مثل هذه المجتمعات المنعزلة التي لا مناعة فيها على الحصبة ، لا يكاد يفد عليها مريض بالحصبة حتى ينثر جراثيم المرض من حوله ، في سخاء جعفر البرمكي ، وهو ينثر من يده الدراهم والدنانير ، فتحدث موجة وبائية جارفة لا تحترم سنياً ، ولا توقر كبيراً ، ولا تفرق بصغير ، ولا تفرق بين غني وفقير . ومن الأمثلة المعروفة لمثل هذه العدويات الضارية من الحصبة ، وباء حدث في الجزء الجنوبي من جزيرة جرينلاند ، المعروفة الآن بسقوط طائرة محملة بالقنابل الهيدروجينية الأمريكية عليها ، وضياعها في الثلوج ، أصاب ٩٨ في المائة من سكان المنطقة البالغ عددهم ٤٣٢٠ شخصاً ، وكان ذلك سنة ١٩٥١ . وفي جزر فارو الواقعة شمال الجزر البريطانية حدث وباء للحصبة سنة ١٧٨١ ، واستنفد الوباء أغراضه في السنة نفسها ، وانجذب عن هذه الجزر التي ظلت بمنجاة منه ٦٥ عاماً ،

حتى كانت سنة ١٨٤٦ ، حيث وفد على هذه الجزر نجار دانمركى ، ترك كوبنهاجن عاصمة الدانمرك فى ٢٠ مارس ، ووصل إليها يوم ٢٨ . وكان بآدى الصحة ، لا يشكو من أية أعراض ، ولكنه بعد يومين من الوصول مرض بحمى مصحوبة بزكام وسعال واحتقان فى العينين يصحبه فيض من الدموع ، وهى الأعراض الأولى لمرض الحصبة ، وبعد يومين ظهرت فى فمه ، وعلى الغشاء المخاطى المبطن للخد تلك النقط المميزة لمرض الحصبة التى تشبه نثاراً من ملح السفرة تبعث على خرقة حمراء .

وفى اليوم الرابع من بداية الحمى ظهر طفح الحصبة المألوف المكون من بقع حمراء متعددة وغير منتظمة الشكل ، وتزول بالضغط عليها ، بادئة من الجبين ومن خلف الأذنين ، ثم مثنية بالوجه والعنق ، ومثلثة بالخدع والذراعين وهكذا حتى تشمل البدن كله ، ثم تبدأ تنطفى بعد اليوم الثالث من ظهورها بالترتيب نفسه الذى اشتعلت به ، تاركة وراءها قشوراً رقيقة كأنها ردة الطحين . إن الأسطى النجار كان قد اتصل قبيل سفره من كوبنهاجن بمريض بالحصبة ، ولما كانت حضانة المرض عشرة أيام فقد ظهرت عليه بوادر الحمى يوم ٣٠ مارس بعد وصوله بيومين . . . ومنذ ذلك لليوم اندلعت الحصبة بين سكان الجزر بسرعة الشياطين ، وأصابت ٦١٠٠ شخص من جميع الأعمار من بين ٧٨٦٤ شخصاً هم كل السكان ، ولم يسلم من المرض غير المعمرين الذين استمدوا مناعة

من وباء سنة ١٧٨١ . ومات من المصابين ١٧٠ شخصاً بمعدل يكاد يصل إلى ٣ في المائة من مجموع الإصابات ، وإن بلغ هذا المعدل بين الأطفال الرضع الذين لم يكملوا الحول الأول من عمرهم حوالى ٣٠ في المائة أى عشرة أمثال المعدل العام ، ومن المعروف أن الحصبة تكون أشد ضراوة فى السنة الأولى من العمر ، وتليها الثانية ، ثم الثالثة حيث تبدأ السن التى ترفق فيها الحصبة بالمصابين ذوى البنيان المرصوص ، وإن كانت تعامل الضعفاء والمرضى بأمراض مزمنة بالقسوة نفسها التى تعامل بها الأطفال الصغار .

مرض بلا علاج

إن الحصبة فى ذاتها مرض بسيط ومسالم إلى حد كبير ، ولكنها مرض بلا علاج ، وقد تحدى حتى اليوم كل وسائل الطب والعقاقير ، وكافة حيل الأطباء . . . بيد أن المضاعفات الشريرة التى تحدثها الحصبة والتى قد تكون سبباً فى إجهازها على الرضع والضعفاء ، سواء كانت التهابات فى المخ ، أو فى الرئة أو فى الأمعاء ، هذه المضاعفات هى التى تتفهمز أمام العلاج . ومن أجل ذلك فإن علاج الطفل المصاب بالحصبة ينصب دائماً على توقي هذه المضاعفات قبل حدوثها وعلاجها إذا حدثت نتيجة الإهمال فى رعاية المريض . والذى يستطيع أن يقوم بهذا العلاج الواقى هو الطبيب . والعسل الأسود لا قيمة له من هذه الناحية ، وقد يكون ضرره أكثر من نفعه

في مثل هذه الظروف . كما أن الثياب الحمراء والستائر الحمراء لا جدوى منها في هذا النوع من العلاج ، وإن كانت لها فائدة فهي إراحة عيني المريض الملتهبتين من الضوء الباهر الذي تمتصه الألوان الحمراء .

كاشف البلاء

في الماضي كانت الحصبة بلاء على الطفل لا راد له ولا كاشف لأذاه - وكان ثمن المناعة الدائمة على المرض هو الاستسلام للوباء . أما الآن فيوجد لقاح واق من الحصبة يؤخذ حقنة تحت الجلد ، في الشهر التاسع من العمر ، فيحمي الطفل من الحصبة ومن مضاعفاتها الشريرة منها وغير الشريرة . وهذا اللقاح فتح من الفتوح الطبية التي أفاضتها على البشر سنوات القرن العشرين . . .



خدعوك فقالوا :

إن الحصبة يشفيها العسل الأسود والثياب الحمراء !

معرفة الأم المصرية بالحصبة وثيقة ، فبين الاثنتين خبز وملح
متد أقدم العصور ، وقدرتها على تشخيص الحصبة قد تفوق قدرة
كثير من الأطباء الناشئين ، وهي قلما تخطئ في هذا التشخيص ،
وحسبها أن ترى طفلاً محمومًا يسعل ، ويرشح أنفه ، وتدمع عينه الرمضاء ،
فتضع أصبعها على مكن الداء ، حتى قبل أن ينبثق الطفح المألوف
في اليوم الرابع من المرض ، فتكتمل للطبيب الناشئ صورة المرض
الموصوفة في الكتاب !

إنها من هذه الناحية تستحق وساماً من أوسمة أبقراط !
ولكنها من حيث العناية بطفلها المحصوب لا تستحق في العادة
أكثر من الرثاء والتوبيخ . . .

إنها تقتل ابنها المحصوب قتلاً في بعض الأحيان !
إن نظرة واحدة إلى أى رسم بياني لمعدل الوفيات العامة في القطر
المصرى لتريك أن هذا المعدل يرتفع مرة كل عامين ، فيكون له
بين الفترة والفترة سنام كسنام البعير .

والحصبة هي المسئول الأول عن هذا السنام ، لانتشار أوبشتها

في مصر مرة كل سنتين ، ولأنها تقضى في كل وباء على حياة ألوف من الأطفال الأبرياء .

إن الحصبة في نفسها مرض رقيق لا يقتل ، ولكن مضاعفاتها - وأخطرها الالتهاب الرئوى والتهاب المعدة والأمعاء والتهاب المخ - هي وحدها التي تحط القبر للطفل المسكين .

والحصبة في نفسها كذلك لا دواء لها ، ولا بد أن تقضى أيام ضيافتها كاملة في جسم المحصوب ، وإنما يعالج الطبيب مريض الحصبة علاجاً يقيه - أو يداويه - من عوادي السعال والإسهال ، أى من غوائل « الخانوقى » واللحاد !

والوقاية في هذه الحالة أيسر من العلاج ، فتنظيف فم المريض وحمايته من البرد ، وعزله في غرفة جافة دافئة متجددة الهواء ، يقيه عادة من الالتهاب الرئوى ، والحرص على نظافة طعامه ، والتخفيف منه ، كفيل برد عادية التهاب المعدة والأمعاء . . .

ولكن أنتى لسواد الأمهات المصريات أن يدركن هذا ، وغاية ما يحتشدن له في هذه الظروف هي كسوة المريض من رأسه إلى قدميه باللون الأحمر ، وحشو بطنه بالعسل الأسود ، كأنه هو الترياق . . إن اللون الأحمر لا قيمة له في ثوب المريض ، وقد ينفعه في ستر مصادر الضوء في غرفته ، لأن الضوء البراق يؤذى العين الرمداء . . ومثل اللون الأحمر في هذا أى لون سواه .

والعسل الأسود كذلك قد لا يضر القليل منه إذا كان نقياً لم تلوثه

الجراثيم ، فهو مسكر مخفف له نفع كغذاء ، ولكن الكثير منه لذاع للمعدة والأمعاء ، قابل للتخمر فيهما ، وهو كذلك مائدة طيبة للذباب ، وقلما يسلم، طبق العسل المهمل من ذبابة تقع عليه فتحقنه بألوف الجراثيم التي تورث التهاب المعدة والأمعاء .

ومضاعفات الحصبة أقرب إلى الطفل الصغير منها للكبير ، وهي أفتك بهذا منها بذلك ، وفرق العام الواحد يحدث فجائع كما يحدث معجزات ، ومن هنا نشأت دعوة الأطباء الدائمة إلى عزل كل طفل يحتم ، ويزكم ، وتحمّر عيناه ، عن إخوته وإسبب الصغار ، حتى ينتفى الشك في أنه محصوب .

ولكن سواد الأمهات يؤمن بأن الحصبة قدر لا مفر منه للأطفال ، فيضعن السليم منهم بجوار المريض حتى يعدى الكل دفعة واحدة اختصاراً لمشاكل التمريض الطويل ، وتهويناً لنفقات الطبيب ، وقد تكون الحصبة كما يزعمن ، فإن عدواها أسرع من سريان النار في الهشيم ، وقلما يسلم الطفل من عدواها على مر السنين إلا إذا كان قد أصيب بها من قبل . . . ولكن هذه السياسة مع ذلك سياسة طائشة ، أو قل هي مؤامرة غير مقصودة بين الأم وبين الموت على أصغر أطفالها سنّاً وأضعفهم على الكفاح والنضال .

إن فخر تعريف الحصبة إلى العالم منذ ١١ قرناً كمرض قائم بذاته يعود إلى « الرازي » الطبيب العربي القديم . . .
أترى يأتي اليوم الذي نستطيع أن نقول لروح الرازي فيه :

« ونحن العرب قد وضعنا السبع الضارى فى القفص وكففنا عز
أطفالنا أذاه بالتحصين . »

إن الجواب عن هذا السؤال متروك للأم العاقلة ، فهى وحدها التى
تستطيع أن تقرب هذا اليوم ، وتجيب عن هذا السؤال بالإيجاب



خدعوك فقالوا :

إن البرص هو الجذام

إن العلم لم يقض حتى اليوم على الكوليرا ولا على التيفوس ، وإن كان قد استطاع كبح جماحيهما وإلزامهما الأدب في التعامل مع الناس . وكذلك الشأن في مرض الجذام ، وإن كان قد اختفى أو كاد من أوربا بعد عصر النهضة والتصنيع والرخاء الاقتصادي العام ، فإنه لا يزال يدمع بظابعه أحد عشر مليوناً من البشر مبعثين في كثير من بقاع العالم المتخلف أو الآخذ من النماء . . . ولكنه لم يعد بفضل العلاج الحديث ذلك المرض المخيف الرهيب الذي كان يشوه أجساد ضحاياها ، ويمثل بهم ويدفعهم دفعاً إلى التحلل البطيء ، فإن هذا العلاج الذي أنقذ أشعة الأمل في الحياة التعمية المظلمة التي كان يحياها المجدومون ما زال يستغرق بضع سنوات ، يتحتم فيها على المريض أن يكون في مثل دقة الساعة من حيث مراعاة النظام في أخذ الدواء . . .

سجن .. كم كان فيه من مظالم !

إن المصير الذي كان يساق إليه المجدومون كان مصيراً زاخراً بالأهوال ، ويمكن كأمثلة للتدليل عليه - أن نشير إلى الأمر الذي أصدره رمسيس الثاني سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد بنى ٨٠٠٠ مجذوم ، للخدمة مبهرة على حافة الموت - را - لم يعرف لهم فيها - سير - حتى الآن .

أو الأمر الذي أصدره فيليب ملك فرنسا الملقب «بالطيب» في سنة ١٣١٣ ، والذي كان يقضى بإحراق كافة المجذومين في فرنسا أحياء .. ولقد كان الجذام يختلط تشخيصه في ذلك الوقت بكثير من الأمراض الجلدية التي تشبهه في سمة أو أخرى من سماته المتعددة ، كالبهاق والزهرى والقوباء والصدفية ، بل حَبَّ الشباب في بعض الأحيان !! وكم سبق من ضحايا هذه الأمراض . إلى مقابر الأحياء التي كان يعيش فيها المجذومون ليقضوا نحبهم هناك . ولذلك لا يعجب المرء من الخلط بين البرص والجذام حتى في التوراة .

نجاسة

في التوراة المعربة أن الرب كلم موسى قائلاً : « إذا كان إنسان في جلد جسده نائثاً أو قوباء أو لمعة تصير في جسده ضربة برص ، يأتى به إلى هارون الكاهن ، أو إلى أحد من بني الكهنة ، فإن رأى الكاهن الضربة في جلد الجسد ، وفي الضربة شعر قد ابيض ، ومنظر الضربة أعمق في جلد جسده فهي ضربة برص وهو إنسان أبرص . لأنه نجس ، فيحكم الكاهن بنجاسته . . . ويقم وحده وخارج المحلة يكون مقامه » ولا شك أن هذا المرض الموصوف في التوراة هو الجذام ، وأن النجس المشار إليه هو المجذوم . . .

البرص في لغة العرب

إن البرص في لغة العرب مرض يحدث في جسم المريض كله قشراً

أيض ، ويسبب للمريض حكاً مؤلماً . فالمرض الذى يصنع ذلك ليس هو الجذام . فالجذام يشل أعصاب الحس فى الجزء المصاب ، لأن وعله شديد بأعصاب الإحساس ولعل المرض الأكبر انطباقاً على هذا التعريف اللغوى للبرص هو مرض « الصدفية » الذى يتميز بظهور بقع حمراء فى جلد المصاب ، تغطيها قشور فضية بيضاء ، تشبه قطرات من الشمع الذائب سكت سكباً على جلد المريض أو قطع من النقود الفضية تناثرت فوق جلده هنا وهناك . ومرض الصدفية على عناده فى العلاج ، وكثرة انتكاسه بينه وبين الجذام من حيث الخطورة ما بين الأرض والسما !

الجذام والأديان

ولم تكن علاقة الجذام بالتوراة هى علاقته الوحيدة بالأديان فقد ارتبط كذلك بالمسيحية ارتباطاً وثيقاً ، وانبعث الاثنان كما يقول بيرتون روتيه مؤلف كتاب أحد عشر رجلاً أزرق ، الذى ترجم للعربية بعنوان « بوليس الأمراض » انبعثا من خرائب روما ، واقتحما أوروبا دون عائق فى دياجى القرون المظلمة ، وبلغ كلاهما أشده خلال شفق القرون الوسطى الطويل ، وأعقب اعتناق المسيحية فى أرجاء أوروبا كافة ، اعتناق مثله لمقت المجذومين وفى سنة ١١٧٩ أصدرت الكنيسة مرسوماً قالت فيه : « إن عزل المجذومين - وإن كان يتم بطريقة سليمة - يجرى بسرعة ممقوتة ، وبلا احتفال ، وإنه يتحتم

في المستقبل حين يتم تشخيص حالة مصاب بالجذام من أحد الأطباء (أو كما جرى العرف يومئذ أن يكون حق التشخيص للقضاة) ألا يتم العزل فور التشخيص، ولكن تسبقه حفلة كحفلات الجنازة يرتدى فيها المريض كفنًا، ويشيع من أقاربه وذويه تشييع الأموات. ويقام على روحه صلاة الجنازة على ضوء الشموع، ويلقن تلقين الموتى، ويقاد إلى مقبرة الكنيسة فينثر عليه ترابها ثلاث مرات يقال له في أثنائها: «كن من اليوم ميتاً بالنسبة للعالم وحيّاً بالنسبة لله».

الجذام والطب

إن الطب بمنجزاته الحديثة قد جعل عزل المجذوم أمراً لا ضرورة له على الإطلاق. وأكثر المجذومين يعيشون اليوم أحراراً كمرضى السل سواء بسواء، بل إن اللقاح الواقي من السل وجد أنه يقي من الجذام كذلك في معظم الأحوال، والمرضان كأنهما أبناء عم أو أبناء خال، كلاهما مرض اجتماعي، وكلاهما يبدد بهجة الرخاء، وكلاهما يستجيب للعلاج المنظم الطويل.



خدعوك فقالوا :

إن المكلوب ينبج كما ينبج الكلب

المكلوب هو المصاب بداء الكلب ، والكلب مرض يصاب به الإنسان عادة من عضه حيوان مسعور . وليس بين الأمراض مرض كالكلب تمشى في ركابه حاشية ضخمة من الأباطيل :

وأولى هذه الحاشية : أن الكلب « يسكون اللام » هو مصدر المرض

الوحيد : وليس هذا من الحقيقة في شيء ، لأن المصدر الرئيسي للمرض هو الذئب ، ومنه انتقلت العدوى إلى الثعالب وبنات آوى والكلاب والققطط وأشباهاها من الثدييات آكلات اللحوم ، ومنها تصاب الثدييات الأليفة آكلات الأعشاب كالجمال والحمير ، وأخطر عضه من هذه الناحية هي عضه الذئب وتليها في الشراسة عضه الهر ، ثم عضه الكلاب .

وثانيتهما : أن إصابة الإنسان بالكلب لا تنشأ إلا من عضه حيوان

هائج مسعور . . . وهذا باطل ، فإن الحيوان الكلب قد يعدى وهو في فترة حضانه المرض ، وقبل أن تظهر عليه أية أعراض . . . وفوق ذلك فإن الأعراض في بدء ظهورها قد تكون من اللطف بحيث إن الكلب المصاب يصبح أشد مودة لمخالطيه مما كان ، وإذا لعق أيديهم في هذه المرحلة ، وفي جلدها خدش ، فقد يصاب المخالط بالمرض

دون أن يحسب لذلك أى حساب . ثم إن لعاب الحيوان المسعور ، قد يصبح أشد ما يكون عدوى فى دور المرض الأخير وهو دور الشلل العام ، بل إن هناك نوعاً من الكلب يسمى بالكلب الأخرس يتميز بالشلل فى كافة مراحلها ، ويقع على الكلب المصاب فى مدة يومين أو ثلاثة أيام ، ومع ذلك يكون لعاب الكلب فيه أفحش ما يكون إعداء .

وثالثها : أن كل إنسان يعضه كلب مكلوب لا بد أن يصاب بالداء . . . وهو وهم لا يستند من الواقع إلى أساس ، وفى بعض الإحصائيات العلمية التى عملت على عدد ضخم من عقرتهم حيوانات مسعورة ، ثبت أن عدد الإصابات بالكلب لم يزد على ١٠٪ ممن عضتهم الحيوانات فى منطقة العنق والرأس ، و ٤٪ ممن عضتهم فى الذراعين ، وأقل من ذلك فىمن عضتهم هذه الحيوانات المسعورة فى السيقان ، ولعل بعض السر فى ذلك أن جرثومة المرض « الفيروس » تختلف فى الضراوة بين حيوان وحيوان ، كما أن العضة تختلف فى شدتها ، وفى مكانها من الجسم من حيث عريه أو تغطيته بالثياب . وعدد العضات نفسه قد يكون عاملاً مقررًا لمصير المصاب .

وأشيع هذه الحواشى من الأباطيل ، وهى رابعها : أن الإنسان المكلوب ينبع كما تنبع الكلاب ، ويهيم على وجهه كما تفعل الكلاب المكلوبية ، فيعقر كل من صادفه فى الطريق : وليس هذا من الجلق فى شيء ، ولقد نفاه طبيب فرنسى يدعى بيير جوزيف ديزولت

في مقال نشره سنة ١٧٣٦ ، ولكن الخرافة ظل صداها يتردد في سمع الأجيال برغم ذلك ، حتى وصل إلينا بكامل زخرفه سنة ١٩٦٧ في كتاب محترم جاء فيه أن الإنسان المصاب بالكلب يصاب بآلام غريبة في موضع الجرح حتى ولو كان قد حدث منذ عدة أشهر ، وكان الجرح قد أصبح كامل الاندمال ، ثم تعاود المصاب حمى خفيفة ، وتعاوده نوبات من التقلص في عضلات البلع يصحبها ألم فظيع ، وتستثيرها أبسط المؤثرات لرؤية الماء «ومن هنا نشأت تسمية المرض قديماً بمرض الخوف من الماء» ، وهي الأخرى تسمية باطلة ، فإن المريض يكون شديد الشوق إلى الماء ، وهو لا يخافه ، ولكنه يخاف ابتلاعه وما يقترن به من عذاب أليم . وقد يصاب المريض بقلق تقطعه فترات من الاستكانة والهدوء ، وقد يصاب في حالات نادرة ببعض أعراض الهياج ، ويتلو ذلك شلل عام يعقبه الموت في وقت قصير .

إن المريض قد يصرخ من ألم البلع ولكنه لا ينبح نباح الكلاب ، وقد يتهيج من الظماً ولكنه قلما يفقد عقله .

وخامستها : أن المرء إذا عضه كلب مكابوب يرسل إلى مستشفى

الكلب للعلاج وتلك أكذوبة ضخمة ، لأن مرض الكلب إذا حدث فلا علاج له ألته سواء كان في إنسان أو حيوان .

إن المصاب محكوم عليه بالإعدام حكماً لا تقض فيه ولا إبرام ،

وما من قوة في الوجود تستطيع أن تحول بينه وبين الموت الأكيد

ولأنما يرسل الشخص الذى عقره حيوان إلى مستشفيات الكلب
 يعطى اللقاح الواقى من المرض « وليس المصل كما يسميه الجهال » وهو
 يعطى هذا اللقاح على وجه الضرورة لمواجهة الخطر المحتمل إذا كانت
 العضة بجوار الدماغ ، أو كانت متهتكة الجراح ، أو كانت فى أكثر
 من مكان ، ولا سيما إذا كانت فى موضع عار من الثياب .
 وسادسة هذه الحواشى من الأباطيل ، وإن لم تكن آخرها :
 أن اللقاح المستعمل الآن فى توقي الكلب هو لقاح باستير . . إن العالم
 مدين حقيقة لباستيريا بأول لقاح واقى من المرض ، ولكن اللقاح الذى
 يستعمل الآن ليس نفس اللقاح .
 وما أكبرها من حاشية أباطيل تمشى فى ركاب مرض واحد حتى
 فى عصر العلم والنورا . . .



خدعوك فقالوا :

جمرة حميدة !

الجمرة دماطل مجتمعة في مكان واحد ، ويخرج القيح منها من أكثر من موضع ، كما تقول مجلة العربي الغراء ، في مقال جامع لها عن الدماطل .

وتنشأ الجمرة من عدوى بالبكتير العنقودي ، والبعض يسمونه العنبي ، وإن لم يكن له من حلاوة العنب شيء ، برغم ما فيه من ملامح التشابه مع العنقود . وهو « ميكروب » موجود في أنوف كثير من الأصحاء ، وعلى جلودهم ، وفي فضولهم ، ويكثر تبعاً لذلك في منطقة السيلين ، وتتلوث الأيدي القذرة منه على الدوام ، وتصبح أداة لعدوى الشخص نفسه أو عدوى الآخرين .

و« الميكروب » العنقودي لا يكون في أضرى حالاته حين يخرج من شخص سليم ، وإنما تبلغ ضراوته قصاراتها حين يكون صاحبه مصاباً بالتهاب كهوف العظم الأنفية ، أو بالزوائد اللحمية في بلعومه ، أو بدمل نزاز ، أو بالتهاب الأصابع المسمى بالداحوس .

وتوصف الجمرة الناشئة من « الميكروب » العنقودي بأنها حميدة تميزاً لها عن الجمرة الخبيثة الجلدية التي تنشأ من عدوى « بميكروب » أشد خطورة من عدوى « الميكروب » العنقودي بكثير . وهي عدوى

تصيب الماشية والحيول وتقتلها ، وتخرج جراثيمها مع فضول الحيوان المريض ، فتلوث شعره وجلده ، وحين يذبح هذا الحيوان خفية (لأنه لو أخذ إلى المذبح لصودر وأعدم هناك) يحمل القصاب جلده أو ملحقاته على كتفيه ، فيصاب بالجمرة الحبيثة في هذا المكان ، وهي جمرة غاضبة ضارية ، سوداء كثيراً ما تقود ضحيتها إلى القبر إذا لم تسعف بالعلاج . وكانت هذه الجمرة الحبيثة في الماضي تصيب بعض المثقفين ، نتيجة استعمال فرش الخلاقة المصنوعة من شعر الحيول الملوثة ، والتي كانت تستورد من الخارج غير مصحوبة بشهادة تثبت خلوها من هذا الميكروب الخطير .

بيد أن « الميكروب » العنقودي وإن كان « ميكروباً » طبعاً مسالماً في الأغلب ، فإنه أحياناً يتضرى ويتمرد ويحدث الدمامل . وقد يزداد تمرداً وضراوة فيحدث الجمرة الموصوفة بأنها حميدة ، برغم أنها ليس بها شيء يحمد أو يستحب أو يستساغ على الإطلاق ، فهي - ولاسيما حين تحدث في البقا - تؤلم وتضايق وتزعج أشد الإزعاج ، وهي - وإن كانت تنتهى في الأغلب على خير بعد أن ترى صاحبها نجوم الظهر - تنأبط الشر إذا كان المريض مصاباً بالسكر ، أو كان خائر المقاومة ، مهدم حصون الدفاع لأى سبب من الأسباب .

ثم إن « الميكروب » العنقودي - على أنه « ميكروب » مسالم - له سفالة أخرى ، فهو من « الميكروبات » التي تفرز سموماً تسمم الطعام ، ولاسيما الطعام الذى لا يؤكل لوقته ، وإنما يترك يبيت ليستعمل

في اليوم التالي دون أن يحفظ في ثلاجة يحول بردها دون توالد «الميكروب» .
 ونعود إلى الجحمة التي ليست بحميدة ولا مستحبة ، والتي يحدثها
 «الميكروب» العنقودي ، فنقول إنها نوع من أنواع المظاهرات التي
 يحدثها هذا «الميكروب» ، وإن كانت من أعنف مظاهراته ، ومن
 آلمها ، ومن أشدها قسوة على المريض ، وإن كانت في العادة لا تميت .
 ولو قلنا إنها جحمة حمقاء ، لكان القول أشبه بها ، فالحمق
 قد يؤذى ، وقد يزعج وقد يغيظ ويسبى مثل الجحمة العنقودية تماما ،
 وإن كان مثلها . . . لا يميت !

والشأن في وصف هذه الجحمة بالحميدة كالشأن في وصف بعض
 الأورام غير السرطانية بنفس الصفة تمييزاً لها عن أورام السرطان ،
 المدمرة ، والتمردة على كل نظام . . .

إنها هي الأخرى ليس فيها ما يحمد أو يستطاب . وكل ما فيها
 تشويه ، ومضايقات ، وتوقع دائم للبلاء ، وانتظار أن يتحول هدوؤها
 الظنين إلى عاصفة ، فلو وصفت هي الأخرى بالأورام المسالمة أو
 الحاملة أو الخاملة لكان الوصف أقرب إلى واقعها المرعب . . .

بيد أن شيئاً آخر يلفت النظر في مقال الدمامل القيم في مجلة
 العربي الغراء وهو دعوة مريض الدمامل إلى الذهاب للطبيب في بعض
 الأحوال دون بعض . فيذهب إليه حين يكون مريضاً بالسكر ، وحين
 تصاب العين بالدمامل ، وحين لا تنتهي الدمامل إلى رأس ، أي
 لا تنضج ولا تنبط فتلفظ ما فيها من صديد ، أما في غير ذلك فليس

المفروض أن يجري المرض إلى الطيب في كل صغيرة : فليس في أمة من الأطباء ما يكفي لهذا أو بعض هذا ، ولكن على المواطن أن يفرق بين الصغير والحطير . ونعمي نفسه بنفسه بالثدر المعتول .

إنها دعوة خطيرة وعززة . ولا سيما حين تصدر من الكويت حيث لا يفرقها من حيث نسبة عدد الأطباء إلى عدد السكان ، إلا قلة ضئيلة من دول العالم

إن المرء يجب عليه وجوباً أن يجري إلى الطيب في كل ما يصيبه صغراً أو كبيراً : لأن المرض عملية تتطور باستمرار ، ولا تثبت على حال . والصغير فيها قد يكبر : والقليل منها قد يزداد . والصغائر فيها كثيراً ما تتحول إلى كباثر . والزغب الذي يكو فواخ الأمراض مسرعان ما يتحول إلى ريش ، بل إلى سهام كهام المنون .

بل فوق ذلك فإن الإنسان لا يجوز أن ينتظر حتى يمرض ثم يعرض نفسه على الطيب . إن عليه أن يتعامل مع الطيب حتى وهو سليم ، فإن المرض كثيراً ما يظل كامناً في الجسم لا يعلن عن نفسه ، إلا إذا ثبت جذوره : وأرمى قواعده على قرار مكين . وحين يبدأ المرض في الإعلان عن نفسه بالإعراض والتذر : فكثيراً ما يكون قد تجاوز الطاقات الحالية لتعارف العلم وجهود الأطباء ، وأصبح يستعصى على كل علاج ، إلا علاج الأعراض : وما أبخسها من غاية وما أتعس من علاج !

إن الطب لسره الحظ لا يعرف العلاج الحاسم عادة إلا للأمراض التي تكتشف في أوائلها : أما إذا أزمت وتغلغلت في الجسم فإن الطيب

كثيراً ما يقف أمامها كالأبله .

إن العيب الأذى في تطبيق الطب في الشرق كله ، ويبدو أنه عيب خالد ، أن نهمل الصغائر حتى تتحول إلى كبائر . ولو تعودنا أن نزور الطبيب بين الحين والحين - حتى ونحن أصحاب - لضمنا أن نكتشف أمراضنا الظاهرة والخفية في وقت مبكر ، وأن نعالجها وعلاجها من أسهل الأمور على الطبيب .

إن هذا هو الطب في العصر الحاضر ، والإدارات الصحية الرشيدة هي التي تبحث عن المرضى بين الأصحاء ، ولا تنتظر حتى يأتوا هم على أرجلهم إلى الطبيب بعد فوات الأوان . . . وكل طب عدا ذلك قصور من جانب الإدارات الصحية ، وجهالة من جانب المرضى ، و . . . و . . . و . . . ربي ماذا أقول ؟ . . . لأقلها بصراحة وأمرى إلى الله . . . وقلة تربية علمية من جانب الأطباء !



٣٠

خدعوك فقالوا :

إن الروماتزم ينشأ من الأملاح !

أهم وظائف الكلية أن تنفض من الدم ما لا حاجة للجسم إليه من بقايا الطعام المهضوم ، وهي تقوم بهذا العمل بوساطة ملايين من المرشحات الدقيقة الفذة ، ترشح مع البول ما زاد من هذه البقايا على معدل معلوم .

وليست الأملاح التي يتردد اسمها على أفواه المرضى والأطباء إلا أنواعاً من هذه البقايا ، توجد في البول على الدوام ، ومنها ما يعطيه رائحته المعروفة ومنها ما يسبغ عليه لونه الخاص .

وزيادة هذه البقايا في البول إذا كانت الكلى سليمة لا تدل على مرض ، وقلتها فيه ليست معياراً للصحة ، فقذارها إنما يتوقف - عند سلامة الكلى - على نوع الطعام الذي تأكله ، وعلى مقدار غناه أوفقره إلى هذه المواد . . والحكم على الجسم بالمرض لوجود أملاح في البول يشبه الحكم على مدينة بالقذارة لأن لها مقلباً للزبالة !

بيد أن هذه البقايا قد يكون لها مدلولها على الصحة والمرض إذا قيس في الدم وكان معدلها فيه أعلى كثيراً من الحد المألوف . . وهو شيء لا يحدث عادة إلا وفي الكلية آفة تعوقها عن نفض ما كان ينبغي أن تنفضه من هذه الفضول ، أو في جهاز الهضم عيب يراكم هذه

البقايا في الدم إلى حد يعي طاقة الكلية ونشاطها المحدود .

وهي إن تراكت في الدم - لأى السببين - فقد تحدث أمراضاً ليس الروماتزم من بينها على أية حال .

لقد يحدث مرض النقرس ، وهو وجع مؤلم يبدأ عادة في المفصل الأكبر لإبهام القدم ، وأكثر ضحاياها من أصحاب البطننة الفاجرة ، والماضى المشرف في التهام اللحوم ، ومن أجل ذلك سمي بداء الملوك! وقد تؤدي إلى التسمم البيوى المعروف وهو مرض قاتل ينشأ عندما تشل قدرة الكلية وتعجز مرشحاتها عجزاً تاماً عن إخراج هذه الفضول .

أما الروماتزم فمرض قائم بذاته، وهو عدوى « بميكروب » خاص هو الذى يسبب التهاب اللوزتين وبعض خراييج الأسنان ، ولبعض الناس حساسية مرهفة خاصة لهذا الميكروب ، تسبب الروماتزم .

وليس كل ألم في المفصل روماتزمياً ، فالروماتزم له صورة محدودة هي صورة التورم في مفصل أو أكثر وانسكاب السوائل فيه ، والوجع الهائل ، وانتقال هذه الأعراض من مفصل إلى آخر ، مع حمى تصيب المريض ، ومضاعفات في القلب يعيا تحتها عن أداء بعض عمله الهام .

إنما تنشأ آلام المفاصل عادة - عندما تسلم هذه المفاصل من مثل هذه الآفات الخاصة - من وجود بؤرة « ميكروبات » في مكان ما بالجسم تفرز سمومها في الدم ، ويخنى وجودها على إدراك المريض ، وقد يخنى كذلك على فطنة الطبيب .

فوجود خراج مضممر تحت سن من الأسنان ، أو التقيح المزمن في إحدى اللوزتين أو كليهما أو في الكهوف العظمية بالجمجمة ، أو السيلان المزمن في الجهاز التناسلي للرجل والمرأة أو الإمساك المستعصي - كل هذا أو مثله خليق أن يدفع إلى الدم بفيض من سموم « الميكروبات » لا ينتهي ، يؤدي المفاصل الرقيقة وسواها من الأعضاء والأحشاء . وقد تنشأ آلام المفاصل كذلك من البدانة ، فإن المفاصل أشبه ما تكون « بالونشات » لا تقوى على أكثر من حمولة معينة . . . أو من نقص بعض عناصر الغذاء الكامل في الطعام كالحديد مثلاً وبعض الفيتامينات الموجودة في البرتقال والليمون ومن هنا نشأت عقيدة العامة في علاج هذه الآلام بشرب عصير الليمون عدة أيام - وبطريقة خاصة - وعلى الريق !

أما الأملاح فخرافة ضخمة وهي بقية من بقايا القرون الوسطى ، وقصور العلم فيها عن تعليل كثير من خواص الصحة والمرض في الإنسان . وكثيراً ما يلجأ الطبيب إلى تشخيص علة مريضه بالأملاح لينخرج من مأزق الجهل بالتشخيص الصحيح . وثمة قلة من الأطباء العارفين يضطرون اضطراراً للانسحاق مع التيار ، ومجاراته المرضى الذين رسخت في نفوسهم جذور هذه الخرافة ، فيعالجونهم من المرض الجاني عليهم ، ويزعمون لهم كارهين أنهم يعالجونهم من الأملاح !

لا تنخدع بعد اليوم بقصة الأملاح فإنها أسطورة خرافية ، والعلم لا يعترف بها الآن ، وليس لها في سجلاته اسم ولا عنوان ، وإذا

١٤٥

عزا الطبيب مرضه إليها ، فبالجأ إلى طبيب سواه يعرف مغام الطب
من معارف القرن العشرين ، ووفر لنفسك منذ اليوم المال الذي تدفعه
لمعامل التحليل - مع بول ٢٤ ساعة ! - لاكتشاف الأملاح ! !



خدعوك فقالوا :

إن الحمى الروماتزمية تنشأ عن « فيروس »

ما أقل المعارف عن الحمى الروماتزمية ! وما أكثر المجاهيل !
وما أضيقت الحقائق فيها ! وما أشد ما تبهم الأباطيل ! إن من المعارف
الشبيهة بالحقائق عن الحمى الروماتزمية مثلاً أنها في حوالي ٨٦ ٪ من
حالاتها تبدأ في أعقاب عدوى بفضيلة معينة من فصائل « الميكروب »
السبحى الذى يؤدى كذلك للحمى القرمزية وحمى النفاس والحمرة ،
وبعض حالات التهاب الأذن والرئتين ؛ ولكل من هذه الأمراض
شهرة وخطورته وشيوعه فى بعض الظروف وبعض الأوقات ،
غير أن الـ ١٤ ٪ الباقية من حالات الحمى الروماتزمية ، والتي لم
تسبقها إصابة سافرة « بالميكروب » السبحى ، ألفت ظلاً على هذه
الحمى من حيث أصلها ونشأتها ، واحتمال حدوثها من عدوى « فيروس »
خاص . و « الفيروسات » جراثيم أصغر كثيراً من « الميكروبات » ولها
طابعها الخاص ، من حيث العدوى ، والمناعة عليها ، ومدى قابليتها
للعلاج بالأدوية والعقاقير ، وسلوكها فى المختبر وفى البيئة وفى الإنسان ،
ومن أمثلتها « فيروسات » الحماق والجدرى ، والحصبة وشلل الأطفال
والزكام ، وقد كنت أظن هذه النظرية ولدت ميتة ، ولكنى وجدتها
تنشر فى « يوميات طبيب » بجريدة الأخبار الغراء ، وإن كانت فى
شحوب الأموات . ولنبدأ القصة من أولها .

استهداف

قلت إن ٨٦ ٪ من حالات الحمى الروماتزمية تأتي في أعقاب عدوى « بالميكروب » السبحي ، بيد أن الحمى لا تأتي في أعقاب هذه العدوى مباشرة ، ولكن بعدها بفترة من الزمن تكاد تكون ثابتة في تراوحها بين الأسبوعين والثلاثة الأسابيع (بمتوسط ١٨ يوماً) . وقد فتح هذا باب الاحتمال لوجود مواد خاصة في هذا النوع من « الميكروب » السبحي ، تلذع أجسام بعض المصابين ، فتستجيب هذه الأجسام للذعها بثورة غضب ، من مظاهرها الحمى والآلام المتنقلة في المفاصل ، والتهاب القلب وتضخمه وظهور اللغظ فيه ، وما إلى ذلك من أعراض الحمى الروماتزمية التي تختلف تصانيفها باختلاف الأفراد ؛ أي أن هذه المواد أشبه ما تكون بالمواد التي تحدث فرط الحساسية في بعض الأشخاص فيستجيبون لها بالربو تارة أو بالشرى « الأرتكاريا » تارة أخرى ، أو بالإسهال .

أهو صنف بذاته من الناس ؟

وأكثر من تحدث فيهم الحمى الروماتزمية هم أكثر الناس إصابة بعدوى « الميكروبات » السبحية . وهم الطبقات الفقيرة ، التي يغلب عليها شظف العيش ، ونقص التغذية ، والعادات الخاطئة ، وسوء المسكن ورطوبته ، وازدحامه بالسكان ، وكثرة أفراد الأسرة الواحدة ،

وما يؤدي إليه ضيق الحال في هذه الظروف من توزيع اللقمة بين عدة أفواه ، وتوزيع الغرفة بين عدة سكان ، وتوزيع تراب المكانس بين الجميع بالعدل والقسطاس . إن « الميكروب » السبحي « ميكروب » شديد المقاومة نسبيا للهواء والجفاف ، فهو يستطيع أن يعيش في هذه البيئات زمنًا أطول في الهواء ، والتراب ، وعلى الأغشية والفرش وثياب المريض ، بعد أن يخرج من حلق المريض أو حامل الجراثيم في السعال والعطاس . وبنفس قوة انتشار « الميكروبات » السبحية في هذه الأوساط الفقيرة ، يكون انتشار الحمى الروماتزمية في هذه الأوساط .

تصريح جرىء

على أن الحمى الروماتزمية وإن كثرت في البيئات ذات الوسائل المحدودة ، فهي ليست غريبة على البيئات الأسعد منها حالا ، والأصح مسكنًا ، والأطيب عادات ، والأوفر غذاء . فالمسألة إذن ليست مسألة بيئة وحسب ، ولكن فيها عاملا آخر يجعل سكان القصور يتقاسمون المرض مع سكان الأكواخ ، وإن كان حظهم منه أقل من حظ الآخرين . لقد لوحظ أن الآباء إذا كانوا من ضحايا الحمى الروماتزمية فإن احتمال إصابة الأبناء بالمرض يكون أكبر من احتمال الإصابة في لداتهم الذين ولدوا من آباء أصحاء ؛ كما لوحظ أنه إذا كان الأبوان الاثنان مصابين بالروماتزم (وليس كل ألم في المفاصل روماتزما)

فالأغلب أن يستهدف عدد كبير من أولادهم للحمى الروماتزمية ،
 في أعقاب العدوى « بالميكروب » السبحي الخاص ، سواء أكانت
 التهاباً في اللوزتين أو دحاساً في الأصابع ، أو ما إلى ذلك من التهابات .
 ولا تجد هذه الملاحظات تعليلاً لها إلا في قوانين الوراثة ، ومن أجل ذلك
 أدهشني أن أسمع في التليفزيون ذات ليلة أحد الزملاء الأطباء يرد على
 سؤال عن الحمى الروماتزمية ، وهل تلعب الوراثة فيها دوراً ؟ فينني أي
 دور للوراثة في هذا الصدد ؛ وهو تصريح أقل ما يقال فيه إنه تصريح
 جرىء !

« الفيروس » لا يستجيب لعلاج السلفا

والبنسلين

قلنا إن ٨٦ ٪ في حالات الحمى الروماتزمية تأتي في أعقاب عدوى
 « بالميكروب » السبحي تسبقها بعدة أيام . وإن هذه الحمى تكثر
 حيث تكثر هذه العدوى ، وإن الوراثة تمهد الطريق لاختيار المصابين ،
 وإن ١٤ ٪ من المصابين لا يصابون بعدوى سافرة « بالميكروبات »
 السبحية . وأقول « سافرة » لأن من المحتمل جداً أن تكون العدوى في
 حد ذاتها خفية ، يستطيع الجسم أن يغلّب عليها ، ويدفع أذاها
 المباشر ، كما يحدث في كثير من عدوى الأمراض الأخرى ، ولكنه
 لا يستطيع أن يهرب من جزئ « الميكروب » الذي يؤدي إلى استشارة

الأنسجة في الأشخاص المفرطى الحساسية، لهذا الجزىء من «الميكروب». يبتى بعد ذلك أن نقول إن كل حالات الحمى الروماتزمية ، فى نوباتها المتتالية ، يمكن توقيها مائة فى المائة إذا أعطى المريض « بالميكروب » السبجى علاجًا كافيًا بالسلفا والبنسلين ، وتلك قاعدة بلا استثناء . ولا يوجد « فيروس » واحد يمكن توقيه بهذا الأسلوب « فالفيروسات » تهزأ بالسلفا والبنسلين عادة وبسواهما من مضادات الجراثيم ، والذي يستخلص من ذلك أن الحمى الروماتزمية بنت من بنات «الميكروب» السبجى ولا تربطها « بالفيروسات » أية آصرة من أواصر النسب بأى حال من الأحوال .

الطريق الأسهل

والطريق الأسهل لتوقى نوبات الحمى الروماتزمية فى الأشخاص الذين أصيبوا بها هو أخذ حقنة من حقن البنسلين الطويل المدى كل خمسة عشر يوما لقطع دابر «الميكروبات» السبجية كلما خطر لها أن تدخل الجسم خفية أو علانية ، وأن يستمر ذلك طوال خمس سنوات . أما استئصال اللوزتين فقلما يفيد لأن «الميكروب» السبجى يمكن أن يصيب الخلق بعد الاستئصال . بل لعل إصابته فى هذه الحالة تكون أشد منها قبل الاستئصال وأسوأ ما فى هذا الاستئصال أنه ضمان زائف لأمان مكذوب !

خدعوك فقالوا :

إن البصل يقي من العدوى

كان البشر منذ عهد بعيد يعرفون العدوى ، ولكنهم يجهلون كيف تنشأ ، فقد ظلت «الميكروبات» سرّاً مغلقاً من أسرار الطبيعة ، لم يقهرها على البوح به إلا باستير وكوخ وسواهما من أفذاذ العلماء في النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

وكان هذا الجهل بمنشأ العدوى يفسح الطريق لنظريات عديدة لتعليل العدوى ، تحتل كل منها مكان الصدارة في عقول البشر حيناً من الزمن ثم تموت .

عزيت الأوبئة في البداية إلى غضب الآلهة ، ثم إلى نقمة الشياطين ، ثم إلى فعل السحرة ، ثم إلى الروائح الكريهة التي تنبعث من المستنقعات ومن مجامع الأقدار .

وباسم النظرية الأخيرة سميت الأمراض الوبائية بالأمراض «العفنة» ولا يزال هذا الاسم يتردد على أفواه العوام حتى الآن . عندما يتكلمون عن مستشفى الحميات .. وباسمها سميت الكوليرا بالهواء الأصفر ، وسميت الملاريا باسمها هذا وهو يعنى باللاتينية «الهواء الرديء» .

وباسم هذه النظرية كذلك راح الناس يستعينون على الروائح الكريهة بروائح أقوى منها دفعا للأوبئة ووقاية من العدوى ، ووجدوا في البصل

رائحة قوية نفاذة فاتخذوه دريئة من الأمراض .

لقد ماتت هذه النظريات كلها بطبيعة الحال في ضوء العلم الحديث ،
ولكن بقاياها الخرافية ما زالت - حيث ينتشر الجهل وتشع أنوار الثقافة -
تملاً عقول الجهلاء .

فقدرة الآلهة على دفع المرض ما برحت ماثلة في أضرحة الأولياء ..
والشياطين ما زالت كودية الزار تخرجها حتى اليوم بوسائل شتى
من جسم المريض « الملبوس » !

والسحر والسحرة ما فتى المؤمنون بهما أكثر من المؤمنين بالطب
والطبيب ! .. فأى عجب في أن نرى البصل والتبغ يستعان بهما حتى
اليوم كلما دخل السليم على مريض ! ؟

كل قنطاراً من البصل ، ودخن مائة سيجارة ، وادخل على مريض
الحصبة مثلاً أو الأنفلونزا ، فلن يغنيك هذا كله عن العدوى إذا لم تكن
لديك مناعة ضد هذه الجراثيم .

يحتاج كثير من العامة على انتفاء العدوى بقول النبي صلى الله عليه
وسلم « لا عدوى ولا طيرة » . وشأنهم في هذا شأن المحتج بقوله تعالى :
« بأيتها الذين آمنوا لا تقر بوا الصلاة » . فبقية الآية الكريمة « .. وأنتم
سكارى » وبقية الحديث الشريف « .. وفر من المجدوم فرارك من الأسد »
إن العدوى ليست شيئاً محتوماً ، أو ضربة لازب كما يقولون ؛
إن لها شروطاً عديدة من ضراوة « الميكروب » ومن حصانة المخالط
للمريض ، إلى غير ذلك ، وما لم تتوافر هذه الشروط لا تكون العدوى ،

ولعل هذا هو المقصود بصدر الحديث الشريف « لا عدوى .. »
أى ليست العدوى حتماً محتوماً ، وإذا توافرت هذه الشروط فهيهات
أن تنجو من العدوى ولو كنت فى برج مشيد من رؤوس البصل والثوم
ومن أرقى أنواع التبغ والسيجار !!



خدعوك فقالوا :

إن الكحول مطهر فعال

التطهير هو قتل جراثيم البكتريا والفيروسات المسببة للأمراض وإبادة البذور المدرعة التي تجعل لبعض هذه الجراثيم قدرة على إحاطة نفسها بها ، لتحميها من قسوة البيئة ومن سوء الظروف . وقد يرتقى التطهير إلى مرتبة التعقيم حين يقتل كافة الجراثيم - الضار منها وغير الضار - في وسط من الأوساط .

وقد يهبط إلى مرتبة تعويق الجراثيم عن النمو ، دون أن يجهز عليها ، بحيث أو زال فعل المعوق لبدأت هذه الجراثيم تعيد سيرتها في التكاثر ، والتضري وارتكاب الآثام من جديد .

بعض من كل

ومن أمثلة التطهير استعمال الكي أو الغلي الكافي لتطهير الملابس وتطهير ماء الشرب المرشح بغاز الكلور ، وتطهير الجلد بصبغة اليود ، أو محلول الميركروكروم ، ولا سيما حين يذاب في الكحول .

ومن أمثلة تعويق تكاثر الجراثيم وضع اللبن المبسطر أو المغلي في الثلاجة بعد معالجته بالحرارة ، لحين استهلاكه ، لمنع تكاثر البقية الباقية من الجراثيم فيه ، لأن البرودة تمنع تكاثر الجراثيم وإن كانت لا تقضى عليها القضاء الأخير .

ومن أمثلة التعقيم تعقيم الأدوات الجراحية ، والمحاقن ، وضادات الجروح وثياب المرضى بالبخار المضغوط القادر على إبادة الحياة الجرثومية تماماً ، في كافة الصور والأشكال .

ومن أمثلته كذلك تعقيم اللبن برفع درجة حرارته إلى ذورة عالية تحت ظروف تسمح بإبادة الجراثيم جميعاً ، دون إضرار مذكوز بالعناصر الغذائية فيه ، وهي عملية تختلف تماماً عن بسطرة اللبن التي لا تقضى إلا على الجراثيم الضارة . . واللبن المعقم يستعمل في كثير من البلاد ، ومنها العراق ، ولا تحتاج زجاجات اللبن المعقم لوضعها في الثلاجة ، لأن التعقيم قضى على كافة صور الجراثيم فيه .

أين الكحول من هذه المراتب الثلاث ؟

وموقف الكحول من هذه المراتب الثلاث من مراتب التطهير هو موقف المعوق لنمو الجراثيم .

ولكنه أحسن من لا شيء .

إنه شرطى .. لا جلاد !

ولقد يمكن أن يقال بوجه عام إنه أذنى من كل مطهر للجروح ،

ولكنه أحسن من لا شيء .

إنه في تطهير الأيدي أقل من كل مطهر آخر - حتى الماء والصابون

اللذين يزيلان الجراثيم إزالة - ولكنه مع ذلك أحسن من لا شيء .

وهو في تطهير الترمومتريات - مقاييس الحرارة - أقل من كل شيء

ومع ذلك فهو أحسن على نفس المنوال من لا شيء .

والخبر في هذه الأحوال الثلاث التي اشتهر الكحول فيها كمطهر ،
أن يسبق استعماله على الدوام ، استعمال الماء والصابون لطرد أكثر
الجراثيم من الجلد الجريح ، ومن الأيدي الملوثة بفضول الأنوف والأمعاء
ومن أسطح الترمومترات المستعملة في جس حرارة المرضى بوضعها في الأفواه ،
أو في مخارج الأمعاء .

عكاز كيز أخرى للكحول

ثم إن الكحول في كافة هذه الأحوال يجب ألا يكون نقيًا مائة في
المائة ، إذ أنه أقوى ما يكون فعلا من هذه الناحية حين يكون في درجة
سبعين في المائة ، أي يختلط بثلاثين في المائة من حجمه بالماء .

وإذا أضيف إليه واحد في المائة من حمض من الأحماض زادت
قدرته على التطهير ..

وإذا رشح الكحول التجارى المستعمل في البيت بقمع وورقة
ترشيح زالت منه أكثرية الجراثيم وكل بذور الجراثيم التي تكون قد
علقت به وبقيت حية فيه .

اعتراض

ولقد يقال مادام الأمر كذلك ، فلم إذن يطهر الأطباء بالكحول
جلد «الزبون» قبل حقنه بالدواء ؟ ... وهو اعتراض وجيه . ولكن
الواقع فيه أن قطعة القطن المبللة بالكحول التي يدعك بها الطبيب جلد

المريض دعكاً تزييل من فوق الجلد كثيراً من الطبقة المشحونة بالجراثيم ، كما لو كان قد غسل بالماء والصابون. ولقد يمكن رؤية الأثر الذي يحدثه دعك الجلد بقطعة القطن المبللة بالكحول إذا أجريت العملية على جلد قدر لم يغسل بالماء والصابون منذ حين .. إن قطعة القطن تصبح في هذه الحالة أوسخ من عرض إبليس ، وتبدو البقعة من الجلد التي نظفت بهذه الطريقة في وسط سائر الجلد المكفهر بالأقذار كأنها واحة في وسط الصحراء !

والخلاصة أن الكحول قد يستعمل للتطهير أحياناً ولكن حين لا يوجد مطهر سواه ..

وأن عكا كيز التخفيف والتحميض والترشيح وإضافة مطهرات أخرى إليه كالبيود أو الميركروكروم قد تساعد على الوقوف بلا خجل بين الصف الأخير من المطهرات .

وأنه حين يستعمل كمطهر فلا يجوز أن نطالبه بالمستحيل وهو تعقيم مكان الاستعمال ، فإذا حدث بعد ذلك في هذا المكان ما لا يحمد ، فلنلم أنفسنا قبل أن نلوم الكحول « الغلبان » !



خدعوك فقالوا :

مصل .. أو .. لقاح !

ليس للكوليرا « مصل » واق منها ، وإنما لها « لقاح » أو طعم ؛ وقد يبدو هذا الأول وهلة تلاعباً بالألفاظ ، ولكن الواقع أن اللقاح والمصل يختلفان اختلاف الفحم والحشب ... كلاهما يحدث ناراً ، ولكن نار الفحم أبقي ، ونار الحشب أسرع . وكذلك اللقاح والمصل : كلاهما يحدث مناعة ، ولكن مناعة اللقاح أبقي وأدوم ، ومناعة المصل أيسر وأسرع في الظهور .

تعزى المناعة إلى تكون أجسام خاصة في الدم تقاوم « ميكروباً » بعينه عندما يقتحم الجسم البشري هذا « الميكروب » ويعيش زمناً فيه . ولو استطعنا أن نشبه « الميكروب » الغازي بوحش لكانت هذه الأجسام لهذا الوحش كالكمادات تدفع أذاه .

وهذه الأجسام أكثر ما تتكون عندما يصاب الإنسان بمرض معد ثم يبرأ منه ، فإن عدد الكمادات التي يصنعها الجسم عندئذ تكون أضعاف أضعاف عدد الوحوش ، وبمقدار ما يبقى منها في الدم يكون طول المناعة على المرض وقوتها بعد الشفاء .

فبعض الأمراض المعدية تحدث « جراثيمها » مناعة دائمة بعد الشفاء قد تبقى بقاء الحياة ، وبعضها يحدث مناعة ضعيفة كالكوليرا التي لا تستمر المناعة عليها بعد الشفاء منها أكثر من عام .

والأصل في اللقاح أنه تقليد ومحاكاة للمرض ، يطعم المرء فيه بمقادير معينة من « الجراثيم » أو سمومها ، بعد تقليد أظفارها ، وإضعاف ضراوتها ، أو قتلها قتلا ، حتى تحدث المناعة دون أن تقوى على إحداث الداء .

وبديهي أن عدد الكمامات التي تبقى في الدم في هذه الحالة بعد تكيم « الجراثيم » أو السموم المطعمة ، هو عدد محدود ، وبمقدار هذا العدد الباقي من الكمامات تكون المناعة الحادثة من حيث القوة والدوام . فبعض اللقاحات الواقية - كلقاح الجدري مثلا - يحدث مناعة قد تدوم خمس سنوات أو أكثر . وبعضها - كلقاح الكوليرا - لا تدوم المناعة التي يحدثها أكثر من ستة أشهر .

وصنع هذه الكمامات في الجسم يتطلب وقتاً ، فلا تحسب أنك عندئذ تأخذ اللقاح الواقي من الكوليرا تكتب صكاً على القدر ألا تصاب ... فخذ اللقاح عندما يتيسر ، ولكن لا تهمل في وقاية طعامك من الميكروب . أما المصل فشيء آخر .. هو كمامات مصنوعة خارج الجسم ، يتخذ الحيوان معملاً لصنعها ، فيحقن الحيوان باللقاح الواقي بجرعات تتزايد مع الزمن حتى يصبح الحيوان قادراً على مقاومة « الميكروب » الحي نفسه ، ثم يستنزف بعض دم هذا الحيوان ، ويفصل منه المصل الحاوي للكمامات الواقية ، ويعطى الإنسان هذا المصل كدواء محضر ، وأكثر ما يستعمل في علاج بعض الأمراض كالدفتريا والتتانوس ، ويستعمل في الوقاية من هذه الأمراض نفسها عندما تنشأ المناعة السريعة لتوقع

الخطر المفاجئ، ولكن المناعة الحادثة حينئذ تكون قصيرة العمر ولا تدوم أكثر من بضعة أسابيع.

ومثل هذا المصل الواقي لا ينجع لسوء الحظ في أكثر الأمراض المعدية، وقد صنع للكوليرا مصل وافي ولكن لم تثبت له فائدة حتى الآن. فلا تعد إلى ذكر المصل الواقي من الكوليرا إذن، فهو شيء يكاد يكون بلا قيمة، ولا يكاد يكون له وجود.

ولا تركض في الشارع كالمجنون باحثاً عن طبيب تتوسل إليه أن يحميك من الكوليرا باللقاح، فسيأتيك هذا اللقاح إلى الباب عندما ترى الصحة أنك مهدد تهديداً حقيقياً بالوباء. فلا داعي للذعر في غير موطنه، ولا داعي للحاجة والإلحاح في طلب اللقاح، إنك تستطيع أن تتوقى الكوليرا بسهولة إذا كنت أنت، وطاهيك وبيتك مثالا للنظافة في الطعام والشراب، ولم تكن «مراماً» تريد كالطفل - أن تأكل من كل ما تقع عليه عينك في الطريق!!



خدعوك فقالوا :

مصل الحصبة

كما أن الحمل ليس له منقار ، والحمامة ليس لها قتب ، فإن الحصبة كذلك ليس لها مصل ، برغم ما تقرؤه عن هذا المصل الوهمي في الصحف بين الحين والحين !!

إن الحصبة لها « لقاح » واق ، وهو اللقاح الذي تنتوي وزارة الصحة تطعيم كل طفل به في الشهر التاسع من عمره ، لحمايته من مرض الحصبة ومن مضاعفاتها السافلة ، التي تلهب رئتيه أحياناً ، وتلهب أمعائه أحياناً أخرى ، وقد تلهب الأذن والمخ في بعض الأحيان ، ولكل من هذه المضاعفات خطرة على حياة الطفل ، أو على مستقبل هذه الحياة .

ولقد يهون هذا الخطأ الشائع إذا سمعناه من رجل الشارع الذي يحتاج إلى التفريق بين الألف والمئذنة إلى تلسكوب ، وقد يهون إذا سمعناه من صحفى يخشى إذا حقق ودقق في كل كلمة يقولها أن يسرقه الوقت ويفوته القطار .. ولكن الذى لا أفهمه ولا أستسيغه بحال أن يتحدث عن « مصل الحصبة » أستاذ جامعى فى الطب ، فى برنامج تليفزيونى مفيد عن الأمراض التى يتحتم علينا أن نحصى من غوائلها الأطفال .

نعم ... إنها قد تكون عثرة لسان ، وقد تكون محاولة للنزول إلى

مستوى الخطأ الشائع الذى يدركه السامعون . ولكن يبقى بعد ذلك أن تكرر الخطأ على هذه الصورة وتثبته فى الأذهان ، لا يليق من أستاذ ،

اللقاح جراثيم أو سموم

إن اللقاح جراثيم مقتولة ، أو مهذبة ، أو سموم جراثيم عولجت بطريقة لكفكف من ضراوتها ، ثم تعطى هذه أو تلك للكائن البشرى فلا تحدث فيه مرضاً ، ولكنها مع ذلك تنبه جهاز المناعة فى الجسم ، وتدفعه إلى إفراز مقدار ضخم من الأجسام المضادة لهذا النوع أو ذلك بالذات ، من الجراثيم أو السموم ، فلا تكاد جرثومة أو سم منها يهاجم الجسم بعد ذلك حتى تنبرى له هذه «الترسانة» من الأجسام المضادة فتشل عمله وتمنع أذاه ، أو تقلل من هذا الأذى بحيث لا يؤدي إلى أية أضرار . ويحتاج الجسم إلى بعض الوقت لإنتاج هذه الأجسام المضادة ، ولكنه حين يبدأ إنتاجها ينتجها بمقادير هائلة ، تشبه ما يفرز منها ، فى أثناء المرض بهذه الجراثيم أو السموم ، إذا أبل المريض من مرضه ، وتمائل للشفاء ، لذلك فإن المناعة التى تحدثها هذه اللقاحات تكون قوية الأثر عادة ويطول عمرها عدة سنين ، وقد يبقى فعلها أحياناً ما بقيت الحياة .

انتصارات اللقاح

ومن السهل عن طريق هذه اللقاحات الواقية أن تتقى بعض الأمراض

اتقاء كاملاً إذا عرفنا متى يعطى اللقاح ، ومتى يعزز بشيء من التنشيط
والحدوى والدفتريا وشلل الأطفال من هذه الأمراض التي يمكن
استئصالها من المجتمع تماماً ، إذا تم تلقيح الطفل وتحصيله عليها بناء
على خطة موضوعة ، وفي المواعيد التي يقررها الطبيب .

وشبيه بهذه الأمراض مرض الحصبة ومرض السعال الديكي ومرض
السل ومرض الكزاز المعروف بالتتانوس ، فإن لها كلها لقاحات واقية ،
ثبت نفعها في الوقاية من المرض ، أو تهذيبه على الأقل وتقليل أظفاره
إذا جاء . ومن أجل ذلك ينصح الأطباء جميع الآباء بحماية أبنائهم
من هذه الأمراض .. أو مما تحدثه من أفاعيل سوء ، بتحسينهم
ضدها باللقاحات ، بل إن الأمر لم يعد في بعض هذه الأمراض أمر
نصائح ، ولكنه أصبح مفروضاً بحكم القانون ، يعاقب الآباء إذا
قصرُوا فيه .

شيء من التاريخ

أما المصل فقد أصبح أو كاد يصبح من حيث توقي الأمراض -
قصة من قصص التاريخ .

إن المصل هو الجزء السائل من دم حيوان عولج بلقاح ما حتى تكونت
في دمه أجسام مضادة للجراثيم أو السم الموجود في هذا اللقاح . وحينما
تقوى مناعة الحيوان على هذه الجراثيم الدخيلة أو سمها ، يستنزف

جزء من دم الحيوان ، ويستخلص مصله بما فيه من الأجسام المضادة ، وهو مقدار قليل منها بطبيعة الحال يتناسب مع مقدار الدم المستنزف وبعض هذه الأمصال يستعمل حتى اليوم في علاج بعض الأمراض كالدفترىا والتتانوس . وكان بعضه يستعمل في الوقاية من المرض تحت ظروف خاصة من التعرض للعدوى ولكن بعد أن عمم استعمال اللقاحات ، لم يعد لاستعمال هذه الأمصال في الوقاية مكان .

وكثيراً ما كان المصل ينهى إعطاؤه بكارثة لأن بعض الأجسام يكون مرهف الحساسية له بنوع خاص .

ثم إن المناعة التي كانت تحدثها هذه الأمصال لم تكن تطول أو تبقى في الجسم لأكثر من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، ثم تفتى فناء الدخان في الهواء .

وفوق هذا فإن عدد الأمراض التي كانت تتى بهذه الوسيلة كانت أقل عدداً من أصابع اليد .

ولقد كانت المزية الوحيدة لها أنها كانت على قصر المناعة الحادثة منها ، تهب للمرء حصانة سريعة ضد عدوى حدثت فعلاً بمرض من هذه الأمراض ، ولكن حتى هذه المزية أصبحت اللقاحات الأصلية تفوقها فيها إذا أعطيت في مواعيدها وبمقتضى النظام المرسوم ، بحيث لا تترك فرصة للحاجة إلى الحصانة السريعة التافهة التي كانت تحدث في أعقاب حقن مصل من الأمصال .

أمصال لم يعد لها وجود

إن مصلى التتانوس مثلاً أصبح فى بعض البلاد الغربية قصة تروى عن شىء كان يستعمله « أهل زمان » !

فتحصين الأطفال بلقاح التتانوس ، وتلقيح الجنود فى الميدان ، فى فترات معينة ، قضى نهائياً على هذا المرض فى هذه الفئات ، كما قضى على أية حاجة لاستعمال مصلى التتانوس سواء فى مجال الوقاية أو فى مجال العلاج .

واقدر أوشك الأمر فى الدقترىا أن يصبح كذلك فى هذه البلاد .. وقد كان هذان المصلان أهم الأمصال المستعملة فى كفاح الأمراض .

أما غيرهما من الأمصال فقد تولى إلى ظلمات التاريخ منذ زمن طويل .

كن مثقفاً ..

تعود إذن أن تفكر تفكير المثقفين حين تفكر فى حماية طفلك من الأمراض باستعمال اللقاحات ، ولا تفكر أبداً فى مصلى الجدري أو مصلى الحصبة أو مصلى الكلب أو مصلى السل ، فإن هذه الأمصال لا وجود لها ، وهى بقية من بقايا المعلومات المنقرضة ، والأخطاء التى يتنزه عنها المثقفون ،

إنها الحمام الذى له قتب ، والحمال التى لها منقارها !

فتأمل قليلا في الحمام الذي حولك . والجمال التي تراها سائرة
في الطريق . فإن وجدت للأولى قنباً ووجدت للثانية منقاراً كان للحصبة
مصل مضاد !



خدعوك فقالوا :

إن « الميكروبات » كلها أشرار

تقترن كلمة « الميكروبات » في نفوسنا دائماً بشعور الخوف والخزع من الأوبئة والأمراض ، ويبعث ذكرها في قلوبنا رعباً غامضاً من فواجع القدر المجهول . ولا نكاد نذكر « ميكروبات » التيفويد أو الدفتريا ، أو السل ، وما تحصد من ضحايا كل عام ، حتى تقشعر أبداننا هلعاً من هول هذه الكائنات الخفية ، التي قد تكون واقفة لنا بالمرصاد على حافة كأس أو ثنابا لقممة أو ربما قبلة حلوة من شفاه نشوى بنحمر الحب والربيع والشباب !

إن « الميكروبات » ليست كلها من هذا النوع المتمرد الشرير .. « فالميكروبات » الشريرة لا تعدو أن تكون قلة لا يعتد بها في عالم ضخم من هذه الكائنات الدقيقة ، يعيش في الهواء الذي نتنفسه ، وفي الماء الذي نحتسيه ، وفي القوت الذي نطعمه ، وفي الأرض التي تطعمنا وتمدنا بالخير والبراءة ... ويساهم بنصيب هائل في خدمة الكائنات الحية جميعاً ، وحمايتها ، والتيسير لها في أسباب الحياة.

إن البنسلين وأشباهه من العقاقير نعمة من نعم « الميكروبات » وقطعة اللبن ، ومضغة الزبد كلها من آلاء « الميكروبات » ونشوة الكأس فضل على طلابها من أفضال « الميكروبات » .

إننا ننظر إلى حفنة من تراب حديقتنا فنخالها جماداً لا حياة فيه ، ولكن الواقع أن كل جرام واحد منها يمجج بما لا يقل عن مائة مليون

من « الميكروبات » النافعة ، يضل بينها عدد تافه من « ميكروبات » الأمراض . ولولا جهود هذه « الميكروبات » النافعة لما ترعرع نبت في الأرض ، ولا تفتحت زهرة لطل السندي ، ولا أتبع المقوت لحي من الأحياء ، ولأصبحت الأرض مستنقعا هائلا للأكدار ، والأقذار .

إن هذه « الميكروبات » التي تزخر بها الطبقة السطحية من الأرض تقوم للمملكة الحيوانية ، بأسرها بدور « الزبالين » الذين لا يكتفون بجمع الزبالة والفضول والجيف المستحيلة ، وإنما يعالجونها كذلك بطرق تمنع أذاها ، وتحيلها من طبيعتها العفنة الكريهة إلى إكسير نافع يمد الأرض بالخصب ، ويمد السندي والزهر بالقوت والحياة ، وكل مزارع الحباري في العالم ومعظم وسائل علاج القمامة إنما ينهض أكثرها على أكتاف هذه الميكروبات . فهي - وإن قامت للحيوان بدور الزبال - تقوم للنبات بدور الطاهي « والسفرجي » وموزع الطعام ! ... وهكذا تشرف « الميكروبات » على رعاية هذه الدورة الحيوية الخالدة التي تمثل فيها الأرض مصنعا « لطوب البناء » يبني منه جسم الحيوان ، فيعيش ما شاء الله له أن يعيش ، ثم يموت ويبيلى ، فينتشر الطوب في الأرض ، ويعاد صنعه ليدخل في بناء النبات ، فينمو ويكبر ، ويؤتي ثمرة ويرد « الطوب » من جديد إلى مصنع الأرض فتبني منه « الميكروبات » جسم الكائن الحي الوليد .

بل إن أجسامنا نفسها عامرة بملايين « الميكروبات » النافعة ، تقوم في أمعائنا مقام الحرس ، الساهر ليل نهار ، محاولا قدر استطاعته دفع ما يعتادها بين الحين والحين من « ميكروبات » الأمراض . إن كان لنا بين « الميكروبات » أعداء ألداء فلنا منها بلائزاء كل عدو واحد مئات من الأصدقاء الأوفياء ، وأو كان في بني آدم بمقدار ما في « الميكروبات » من خير وشر لطابت الحياة .

خدعوك فقالوا : إن غلى اللبن لا يقتل الميكروبات وحدة الهدف

إن غلى اللبن وبسطرته عمليتان يقصد بهما قتل الجراثيم المسببة للمرض فيه ، وكلتا العمليتين - وإن اختلفتا من الناحية الفنية - نتيجهما واحدة من حيث الوصول إلى هذا الهدف المقصود والقضاء على جراثيم الأمراض التي تصل إلى اللبن من الحيوان الحلوب نفسه ، أو فم الحالب وأنفه في أثناء العطاس والسعال ، أو يده حين يبصق فيها - لعنة الله عليه - وهو يستدر الحليب من ضرع الحيوان أو في النهاية من البائع الغشاش الذي رأيناه يصلح الفجر حاضراً ، ثم يميل على أول ترعة تصادفه في الطريق ، فيضيف إلى ما معه من اللبن ، مثله من الماء القذر الملوث بكثير من الجراثيم ، ثم يحلف لك بالطلاق من زوجته الاثنتين أن لبنه حر لم يمسه ماء !

قائمة خسائر

ولقد يفقد اللبن بالغلى وبالبسطرة بعض الفيتامينات الموجودة فيه ، وقد يختلف الأمر قليلاً بين العمليتين في هذا المجال ، ولكن اللبن على أى حال لا يستمد أهميته في الطعام من الفيتامينات التي توجد فيه بمقدار صغير ، وإنما يستمد أكثر هذه الأهمية من غناه بالمواد البروتينية النفيسة ، البانية للجسم ، والمرممة لأنسجته ، والمعوضة له عما يفقد من خلاياه .. ثم من نصيب اللبن العظيم من الأملاح المعدنية ، وفي مقدمتها الكلسيوم

الذى يعد من عناصر الغذاء الرئيسية ، والذي يعد اللبن من أهم وأوفر مصادره في الطعام ... وكلا المواد البروتينية والأملاح المعدنية لا يتأثران إلا تأثيراً طفيفاً بعملتي تحرير اللبن من جراثيم الأمراض . فلئن كان اللبن يفقد جزءاً من هذا الفيتامين أو ذاك بالغلي أو بالبسطة فإن الخسارة ليست ذات شأن يذكر ، وفي غير اللبن من الأغذية التي نقّات بها عوض عن الجزء الذي يضيع من للفيتامينات .

حقيقتان أخريان

هذه حقائق أولية خاصة بغلي اللبن أو بسطرتة ، ومن الممكن أن يضاف إليها حقيقتان : الحقيقة الأولى أن الغلي هو العملية الأبسط ، والمقدور عليها في كل بيت ، والمعروفة لكل أم على ضفاف النيل منذ فجر التاريخ .. إنها عملية بسيطة ، رخيصة ، زكاهها للزمن ، وعرفها حتى قليات الحظ من الثقافة بين الأمهات . أما البسطة وتلك هي الحقيقة الثانية فعلية معقدة تحتاج إلى معرفة فنية واسعة ، وإدراك علمي دقيق ، كما تحتاج بعد إتمامها إلى تبريد اللبن بعد بسطرتة مباشرة والاحتفاظ به في ثلاجة حتى لا تعود للقلة من الجراثيم التي داخت ولم تمت بالحرارة إلى التكاثر من جديد ، وإن هذه العملية إذالم تم حسب مواصفاتها المعروفة ، فإنها تعطى شعوراً زائفاً بالأمان ، وتصبح مصدراً لخطر لا يوجد منه في غلي اللبن وتبريده إلا القليل ..

عجائب

هذه كلها حقائق بسيطة ، ولكن إحدى شركات بسطرة اللبن

تحاول أن تهدم هذه الحقائق في إعلان لها بالتلفزيون . فهي تزعم أولاً أن غلى اللبن لا يقتل كل الميكروبات فيه .. وهذه أكذوبة ، فإن الغلي من هذه الناحية قد يكون أفضل من البسطرة في بعض الأحيان ، خصوصاً إذا كانت البسطرة لا تستوفي كافة مستلزماتها ، وكان المبسطرون لا يحرصون للتفتيش الصحي كما يحدث في كثير من الظروف . وهي تزعم ثانياً أن الغلي يضيع كافة الفيتامينات من اللبن ، وهي أكذوبة أخرى ، لأن الغلي لا يختلف عن البسطرة من هذه الناحية إلا اختلافاً طفيفاً لا يؤثر في قيمة اللبن الغذائية بحال . بيد أن الأكذوبة الأخطر من هاتين : هي القول بأن اللبن المبسطر مأمون على الدوام ، فإن اللبن المبسطر ما لم يوضع في ثلاجة إلى أن يستعمل ، قد يصبح كالمأمون الذي يؤتى منه الحذر ، وهو شيء يعرفه بعض زبائن اللبن المبسطر !

هل الإعلان رب غفور

قد يقال إن الإعلان يباح فيه أحياناً ما لا يباح ، وإنه يعفو عن كثير، ولكن من المؤكد أنه لا يعفو عن الكذب أو يتسامح فيه ، فإن للكذب ليس من مصلحة المعلن نفسه ، والدقة العلمية يجب أن تتوفر للإعلان الحازم الرشيد . نعم إن من المستطاع أن تمط الحقيقة العلمية في الإعلان بعض الشيء هنا ، أو تعصر بعض الشيء هناك ، ولكن بدون أن تحتج هذه الحقيقة أو تضيع ، أو تزهر روحها بحال .

الشمال التي لا تعرف عن اليمين

إن بالتلفزيون برنامجاً للتربية الصحية ولكن يبدو أن هذا البرنامج

الموجود في طابق من بناء التليفزيون الشاهق ، وبرنامج الإعلانات الموجود في طابق آخر ، والاتصال المنعدم تماماً بين الطابقين . مثل شمال المؤمن التي لا تعرف شيئاً عما تتصدق به اليمين ، أو مثل اللسان الذي يسبح بذكر الله بدون أن يدرك شيئاً عن اليد التي معه في جسم واحد ، والتي تسرق ، أو تعتدى على الغير ، أو تضع لهم ماء التربة الملوثة في الحليب !! ... إن برنامج الإعلان في التليفزيون يحتاج إلى عملية بسطرة حقيقية وليست كالبسطرة التي يرفض أصحابها الخضوع للتفتيش الصحي المفروض .

عصفور في اليد

ولعل من الخير أن أهيب في النهاية بالقراء أن يغلوا اللبن في بيوتهم وأن يتركوه يغلي على نار هادئة ، بضع دقائق خصوصاً في الصيف ، فإن في ذلك أماناً حقيقياً ضد كافة الجراثيم المعدية التي قد يحملها اللبن الحليب إن الغلي عصفور في يدنا وهو خير من العصافير العشرة التي على الشجرة والتي لا يمكن بحال التأكد من وجودها في اللبن المبسطر غير الخاضع للرقابة الصحية في كل الخطوات ، وكل الأوقات ..

خدعوك فقالوا :

إنك مريض بالدوسنتاريا

الدوسنتاريا هي الإسهال المصحوب بالمغص ، المشوب بالدم والمخاط . وليست الدوسنتاريا مرضاً قائماً بذاته ، ولكنها سلسلة أعراض تنشأ من عدة أمراض يختلف بعضها عن بعض اختلافاً جوهرياً في السبب ، وفي وسائل العدوى ، وفي طرق العلاج .

وشأن الدوسنتاريا من هذه الناحية شأن « الحمى » فالحمى ليست إلا ارتفاعاً في درجة الحرارة ، سواء أكان سببه التهاباً بسيطاً في الاوتين ، أم تيفوداً في الأمعاء ، أم دفتريا في الحلق ، أم خراجاً في العظام ... إن هناك مائة سبب وسبباً للحمى ، أى ارتفاع درجة الحرارة ، كما أن ثمة أسباباً عديدة للدوسنتاريا ، التي ليست إلا مجموعة أعراض متشابهة ، لعدة أمراض يختلف بعضها عن بعض ، اختلاف الدفتريا والطاعون والمالاريا والتيفود. فالدوسنتاريا الأميبية مثلاً - التي تصيب معظم المصريين - مرض من أمراض القذارة و« الرممة » ينشره عدم غسل الأيدي قبل الطعام ، وترك الأطعمة للذباب يسرح عليها ويمرح كما يشاء وأكل الخضر « بعلها » أى بدون غسلها بالماء الجارى والتأكد من زوال ما عليها من الأكدار .

ومثلها في طرق العدوى ، وإن اختلف عنها تماماً في وسائل العلاج ، الدوسنتاريا « الميكروبية » ، التي لا تنشأ عن ميكروب واحد ، ولكن من عدة « ميكروبات » يختلف بعضها عن بعض في الضراوة والفتك وسرعة الاستسلام للعلاج .

ومن الدوسنطاريا ما يحدث من بلهارسيا الأمعاء التي تصيب أكثر من خمسين في المائة من سكان شمال القطر لخوضهم في الماء الملوث بأجنة هذه الديدان ، وهذا النوع - وإن تشابه وسواه في الأعراض - يختلف عنه اختلافاً بيناً في السبب والعدوى والعلاج .
ومنها ما ينشأ من الملاريا الحبيثة ، واكتظاظ الأوعية الشعرية في الأمعاء بطفيليات هذا المرض الخطير .

بل إن من الدوسنطاريا ما تحدثه طفيليات أخرى بلا عدد ، بعضها من ذوات الأهداب ، وبعضها من ذوات الأذنان ..
هذه تنشأ من أكل السمك الذي لم يتم نضجه وتلك من تناول لحم الخنزير... وثالثة من أكل الفسيخ الحلو ، إلى آخر ما هنالك من اللوسائل والأسباب . وكما أننا لا نقبل الآن كلمة الحمى كتشخيص لما نعانيه من سقام ، يجب كذلك ألا نقبل كلمة الدوسنطاريا دون أن نسأل عما وراءها من آلاف العلل والآلام .



خدعوك فقالوا : استؤصل المصران^(١) الأعور

المصران الأعور لا يستأصل ، فإنه جزء هام من الأمعاء ، يشاظرها كثيراً من الوظائف والأعباء ، وهو إذا التهب فشأنه شأن سائر الأمعاء ، ينفض العفن إلى الخارج ، ويعتل حيناً ثم يماثل للشفاء ؛ إنما الذي يلتهب ، فيطغي ، فيهدد الحياة ، فيستأصل هو الزائدة الدودية ، وهي نتوء من المصران الأعور لا عمل له ولا وظيفة ، إلا أن يشعر ابن آدم أنه في ريعان شبابه ، وعتفوان مجده .

إنه لا شيء إزاء قدر الله . وإن نسمة سارية من نسيمات هذا القدر تستطيع أن تعصف به وبغروره وطموحه وتكالبه على الحياة .

وسمى المصران الأعور كذلك لأنه أشبه ما يكون بالزقاق المسدود بين الأمعاء الدقاق والأمعاء الغلاظ ، تصب الأولى فيه « ببوابة » وديدبان ، وتخرج الثانية منه مخرجاً سهلاً بلا باب ولا حراس ، ولكن مصب الأولى ومخرج الثانية في جانب واحد من هذا الزقاق المسدود ...

وعلى مقربة من نهاية الزقاق في الجانب الأيمن من أسفل البطن « عطفة » تتصل به ، وتتدلى منه ، هي الزائدة الدودية التي تشبه دودة الأرض ، وهي تطل من أطلال عضو قديم كان الإنسان يستعمله يوم كان يعيش على الأعشاب ، وقبل أن يتذوق اللحوم .

وعندما تلتهب الزائدة الدودية تنسد فتحتها في المصران الأعور فلا يجد العفن المتراكم طريقه إلى الخارج ، فيزدحم في هذا الفراغ الضيق ، بما فيه من « ميكروبات » وصيد ، وتضيق به الزائدة الملتهبة بعد حين

(١) المصران : مفرد مصير ، وهي المصمى .

— إذا لم يسعف المريض بالعلاج — فتنفجر داخل البطن ويعم التهابها الغشاء الجامع للأحشاء . والتهاب الزائدة الدودية مرض من أمراض الحضارة قلما يعرفه البدو البدائيون ، وهو في الحضرة أكثر منه في الريف ، ومما يربى له : الإفراط في أكل اللحوم ، وطول الإمساك ، والتعجل في تناول الطعام والبور المتقيحة في الجسم — كاللوزتين مثلاً — دون علاج ، والأذى كيفما كان ، يصيب منطقة المصران الأعور ، فيقفل الزائدة ويسدها ، فيجعلها أكثر عرضة للالتهاب .

أما التهاب الزائدة بما يصل إليها وينحسر فيها من حب العنب والحوافة والتين الشوكى وأمثالها ، فخرافة أخرى لم يؤيدها التحقيق . وكثيراً ما تتشابه أعراض التهاب الزائدة الدودية بأعراض علل أخرى داخل الأحشاء ، كقرحة المعدة والتهاب المرارة ، والحمل خارج الرحم ، فتستأصل الزائدة عبثاً ، ولا يغني عنها صراخها أنها بريئة والله العظيم !! ومن أجل ذلك فإن الجراح الحازم عندما يريد استئصال الزائدة الدودية ، لا يجعل جرحه كالكوة الصغيرة فوق الزائدة رأساً ، لكي يرضى أنانية المريض — ولا سيما إذا كان سيده تخشى على جمالها أن تشوهه الندوب ... وإنما يفتح في البطن فتحة محترمة تسمح له أن يبحث عن المجرم الحقيقي ، ويقبض عليه إذا ثبتت له براءة الزائدة وظلم الاتهام . وهو في هذه الحالة يلائم بين حافتي الجرح بطريقة لا تترك منه بعد التئامه إلا خطاً لا تكاد تتبينه غير عين الباحث عن عيوب الأب .. ومثل هذا قد يحدث في الدوسنطاريا الأميبية — ووطنها الأول هو المصران الأعور ، فقد تشبه أعراضها أعراض التهاب الزائدة المرمن ، فيشكو المريض من عسر الهضم والانتفاخ ولا يتبيهاً التشخيص الحقيقي في هذه الحالات بغير التحاليل المختلفة وتصوير الأمعاء .

ولقد شبه التهاب الزائدة المزمن بقنبلة تهدد صاحبها في أى وقت
بالانفجار ، ولكن تقدم الطب العلاجي في الوقت الحاضر ، جعل هذه
الحقيقة القديمة خرافة اخرى تضاف إلى الخرافات الكثيرة التي تراكم
كالقمامة في زقاق المصران الأعور المسدود .



أقرا

سلسلة ثقافية شهرية ، تصدرها دار المعارف منذ
عام ١٩٤٣ ، مساهمة منها في نشر الثقافة والعلوم
والمعرفة بين قراء العربية .

صدر خلالها وحتى الآن أكثر من ستمائة عدد لكبار
الكتاب منها :

- ١ - قنديل ام هاشم
 - ٢ - احلام شهر زاد
 - ٣ - سنوحى
 - ٤ - مهد العرب
 - ٥ - من النافذة
 - ٦ - سارة
 - ٧ - من ذكريات الفن والقضاء
 - ٨ - النسيان
 - ٩ - القرآن والتفسير العصرى
 - ١٠ - مع الآخرين
 - ١١ - مع العقاد
 - ١٢ - عجائب الأرض والسماء
 - ١٣ - مشكلة حب
 - ١٤ - هؤلاء علمونى
 - ١٥ - سندياد في رحلة الحياة
 - ١٦ - رسائل واسرار
- د . يحيى حقى
د . طه حسين
د . محمد عوض محمد
إبراهيم عبد القادر المازنى .
د . أحمد فؤاد الأهوانى
د . بنت الشاطيء
د . شوقى ضيف
د . مصطفى محمود
د . حسين فوزى
عبد الوهاب عزام
عباس محمود العقاد
أنيس منصور
محمد جمال الدين الفندى
سلامة موسى
محمد التابعى

١٩٩٥/٥٦٠٨	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4992-0	الترقيم الدولي

١/٩٥/٢٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)